

٦٤٦٢

# صاحب شخصية مصر

## جمال حمدان

### وملامح من عبقرية الزمان

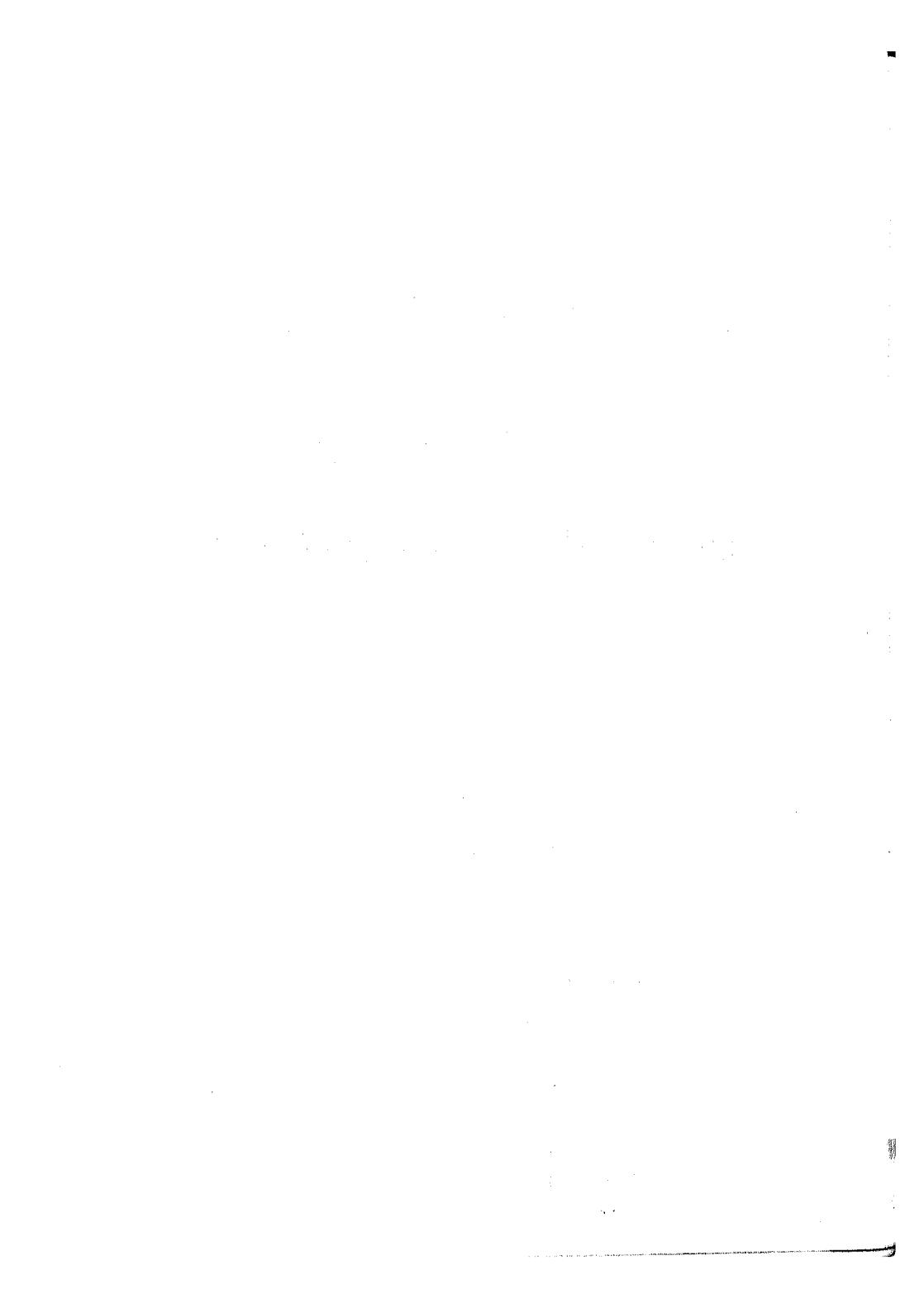
بقلم

الدكتور عبد الحميد صالح حمدان

مكتبة مطبوعات

رقم التعداد : ٩١٥٤

رقم التسجيل : ٩١٨٩



لا أدرى لماذا لم يخطر بيالي أبداً أتنى سأكتب عن شقيقى جمال حمدان ، وأنه لم يتطرق إلى ذهنى أتنى سأنعشه أو أرثيه فى يوم من الأيام ، فقد كان كالطود الشامخ الذى لا يتزعزع ، والنهر المتندق الذى لا يلضب معينه . وكانت حياته كلها عبارة عن كفاح مستمر فى سبيل العلم والتنوير بمعناهما الدقيق والعريف ، ولم تشويبها شائبة الأطماع أو التهافت ، فقد كان يتأى عن الصيغائر وعن الدعاية لنفسه ، وعلمه ظروف الحياة أن يبتعد عن زخرفها وبهرجها ، تاركا لأعماله - وأعماله وحدها - أن تتحدث عنه . ومن ثم اختار لنفسه أن يعيش راهباً فى محراب الفكر ، وارتضى لها فى سبيل ذلك اعزال الناس والاعتكاف في داره بعيداً عن صوضاء المجتمع وضجيجه ، وارتاح لذلك ومالت هذه النفس المطمئنة للعلم وحده ، فوهبها له ، وانقطع عن العالم الخارجى ليضع هذا العلم فى خدمة مصر التى مات وهو يفكر

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

فيها ، وفي شؤونها وهمومها ومشاكلها . وكانت فلسفته في الحياة تقوم على أساس أن لا شيء يعلو على العلم ، وأن الدنيا بدونه لا تساوى شيئاً ، وأن هذا العلم لا يأتي من فراغ ، ولكن بالكد والاجتهداد .

وكان - ككل العلماء الجديرين بهذا اللقب - يتفوق على تخصصه بل ويتحفظ لهى يضع معارفه العلمية والمتخصصة في السياق الشامل والطبيعي للتاريخ الكلى ، أى التاريخ الذى يجمع بين الحضارة والمعرفة والثقافة والسياسة والجغرافيا وغيرها من العلوم الأخرى . فكان بذلك يصل العلم بحياة الناس ومشاكلهم وكيفية حلها ، وإعطاء المؤشرات السليمة التي تهديهم إلى مستقبلهم ، وكيفية التعامل مع هذا المستقبل بطريقة علمية مدروسة .

لقد غاب عنا جمال حمدان بجسده ، ولكنه سيظل حاضراً معنا بروحه وأفكاره وتراثه !

ولا نزعم أن هذه الصفحات تشكل سيرة أو تاريخاً كاملاً لحياة جمال حمدان ، ولا ندعى أنها دراسة متعمقة في فكره أو إنتاجه العلمي الغزير ، فهذا أمره متترك للباحثين والعلماء ولجانهم المختلفة ، وتلك

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

مهنتهم التي قد تحتاج إلى سنوات طويلة من البحث والاستقصاء .  
ولكن هذه الصفحات وإن كانت تجمع - بایجاز - بين هذا وذلك ،  
تعتبر بالأحرى بمثابة ذكريات من النسي المنسى ، جاءت كلها عفو  
الخاطر . أثارتها في نفسي وفاته المأساوية ، فتجمعت الأحزان وتورادت  
السوائح والأفكار ، فجاءت هذه الصفحات تعبيرا عنها .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وبلامح من عصرية الزمان

(٦)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

---

اعتقدت والدتي - رحمها الله - أن تلد في قريتنا ، ناى ، ، مركز قليوب (محافظة القليوبية) ، التي تبعد عن القاهرة بنحو ٤٠ كيلو مترا ، حيث توفر لها العناية الصحية ، وتحظى برعاية والدتها وحنانها . وكان حرصها على ذلك شديدا بعد أن فجعت بوفاة اختنا البكر ، سعاد ، بعد ولادتها بشهور ، وكان السبب في ذلك بعدها عن والدتها وافتقارها إلى التجربة في مستهل حياتها الزوجية . وصممت بمباركة من جدتي ، على لا تضع أولادها إلا وهي بجوارها .

وكان والدى يصحبها قبل شهر من تاريخ الوضع إلى بيت حماته ، ويأتى لزيارتها والاطمئنان عليها أسبوعيا بعد خروجه من مدرسته التي كان يعمل بها ، ويظل بجوارها طوال عطلة الأسبوع . وهكذا ولدت هناك شقيقى المرحومه ، شكريه ، ١٩٢٢ ، ثم شقيقى محمد ١٩٢٤ ، فشقيقى المرحوم جمال الدين ١٩٢٦ ، ثم ، جمال

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

حمدان ، في يوم الأربعاء الموافق ٤ فبراير ١٩٢٨ ، حيث هبط إلى  
الدنيا في عز أيام الشتاء ، فوق فرن ساخن !

وقريتنا ناي هذه هي إحدى قرى مركز قليوب ، الذي يضم أيضا  
عدة قرى مجاورة هي كفر رمادة ، وكوم أشفيان والجعافرة ، وميت  
حلفة ، وطنان ، وقلا . وكلها قرى عامرة بالزراعة وخاصة الفاكهة .  
وكانت عدتها أيام المماليك تسعة عشر ألف دينار ومساحتها تزيد على  
ألفي فدان ، وكانت جارية في إقطاع جماعة من المماليك السلطانية  
ورجال الحلقة المنصورة ، على حد قول ابن دقماق في انتصاره . وقال  
ياقوت الحموي في معجم بلاده أنها من أعيان قرى مصر ، قرية من  
الفسطاط ، ذات بساتين ، وميرتها ( أي خراجها ) عشرة آلاف دينار  
في كل عام .

والواقع أن هذه القرى كانت مصدر تموين القاهرة بالأجبان  
والسمن والقشطة ، فإذا ما انقطع المجلوب منها ، وقع أهالى القاهرة في  
ضائقه شديدة كما قال ابن إياس في بداعه . ولذلك كان السلاطين  
يهمون بحفر خلجانها ، وتشييد السدود عندها كما حدث بالنسبة لسد  
الخشب الذى كان قائما عند ناي وطنان . وكان أهالى ناي وضواحيها

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

---

هم أول من شق عصا الطاعة على العثمانيين الأتراك ، وكانوا يقطعنون عليهم الطريق ويقتلونهم ويأخذون خيولهم وجمالهم . وذكر ابن إياس أن السلطان أرسل تجريدة لمحاربتهم ولكنها لم تظفر بهم ، بعد أن هربوا إلى الجبال !

ويحكى أنه ظهرت في رمضان سنة ٩١٥هـ ، فتاة دون البلوغ ، قيل إنها رأت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام عدة مرات ، وظهرت لها كرامات خارقة ، فكانت تقيم المقداد وترد بصر الأعمى ، وذاع صيتها في القاهرة ، وزارها في بلدتنا الأمراء وأعيان الناس التماساً لبركتها !

ووصل في يوم من الأيام ونحن صغار نمضى الإجازة الصيفية ببلدنا ناي ، رجل ادعى أنه من الأولياء ، وتجمع حوله أهل البلد وأحاطوه برعايتهم حتى اتضحت لأخى جمال أنه من المشعوذين ، وأحس هو بذلك ، وخشي على نفسه ، وتسلى من البلدة تحت جنح الليل ولم يعد نسمع عنه بعد ذلك !

ومحافظة الفيوم كانت تعتبر في أيام المماليك العمل الثاني من أعمال مصر ، ومقر ولايته ، فليوب ، .

وقد خرجت القليوبية عدداً كبيراً من العلماء ، منهم الأمام الليث بن سعد ( ١٧٥ هـ ) الذي ولد بقرشدة ( أو قلقشدة ) وكان شيخ الديار المصرية وعالمها ، وكان ثقة كثير الحديث صحيحه ، واشتغل بالفتوى في زمانه كما ولد بها أبو العباس أحمد بن علي القلقشدي ( ٨٢١ هـ ) صاحب موسوعة ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . وحكا لي والدى أن نسب عائلته حمدان يرجع إلى قلول القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية ، واستقرت في الديار المصرية بعد الفتح الإسلامي ، ومنها بطن حمدان ، الذي استقر - على غير عادة القبائل الأخرى - في القليوبية بالوجه البحري . وقد ذكر القلقشدي أن هذا البطن هو من بطون قبيلة جذام ، المشهورة التي نزلت بالشرقية ( وكانت القليوبية تابعة للشرقية - في ذلك الوقت ) .

ولما كان والدى ينحدر من عائلة ريفية ، فقد كان مصيره الاشتغال بالأرض ، ولكنه توسل إلى والده لكي يرسله إلى المدرسة لكي يتعلم القراءة والكتابة . وتحقق أمله ، ودخل كتاب القرية حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ شيئاً من القرآن . ولما رأى شيخه عليه إمارات النجابة وجبه للعلم ، ذهب إلى والده ( جدى ) ونصحه بأن يترك محمود

مناحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وعلام من عبقرية الزمان

---

---

( والدى ) ليستكمل تعليمه ، وبأنه سيتولى إرساله إلى الأزهر الشريف  
بالقاهرة !

وكان هذا ما حدث بالفعل ، فقد سافر أبي مع والده حيث أودعه  
الأزهر الشريف ، وأقام أبي في رواق الأكراد ، وعاش على ما كان  
يحصل عليه من جرایة ، وجداً واجتهد حتى حصل على تجهيزية  
الأزهر ؛ ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعي التي كانت تخرج القضاة  
الشرعيين للعمل بالمحاكم الشرعية في مصر . ولكن والدى - لسوء  
حظه - لم يستمر بها إلا لمدة شهور ، وتم فصله منها نهائياً عقاباً له  
على خروجه على رأس المظاهرات عندما قامت ثورة سنة ١٩١٩ م .  
واضطر في العام التالي إلى دخول مدرسة المعلمين ، وتخرج منها  
مدرسة للغة العربية . وظل يتلقى من مدرسة إلى أخرى إلى أن عين  
مدرسة بمدارس الأمير فاروق التي كانت تابعة للناظارة الأوقاف في ذلك  
الوقت ، والتي كانت تقع بحي روض الفرج .  
وكان هذا مدعاه لانتقالنا إلى السكن بالقرب من المدرسة ، واختار  
أبي حى شبرا بجوار جامع الخازندار ، واستأجر شقة هناك .

وتشاء الصدف أن نسكن في شقة مقابلة لشقة عائلة إيطالية من العائلات الكثيرة التي جاءت إلى مصر ، إما للعمل أو للتجارة . وكان رب الأسرة فنانا يعمل بمدرسة الدون بو سكو الإيطالية . وتوطدت العلاقات بين الأسرتين بصورة متينة ، وكنا نعامل « مدام فيكتوريا » ( وهو اسم ربة البيت ) كوالدتنا تماما ، وكانت هي تعتبرنا أولادها حيث أنها لم تزرق بأولاد . وكان تأثير هذه السيدة على والدتي كبيرا ، وتعلمت منها أشياء كثيرة تتصل بفنون تدبیر المنزل والطهی ، لدرجة أنها دأبنا على تسمية قطع الأثاث في المنزل بأسمائها الإيطالية . كما أنها كانت هي التي أطلقت على أخي « جمال » ، اسمه الذي عرف به بيننا طوال حياته : « لولو » ، وهو تصغير لاسم « جلال » ، الذي كان والدى قد اختاره له عند ولادته ، والذى تبين فيما بعد عند تحرير استمارة دخوله امتحان الشهادة الابتدائية أن اسمه قد كتب خطأ فى شهادة الميلاد على أنه « جمال » بدلا من « جلال » . وفشل جهود أبي فى تصحيح الاسم وإعادة الأمور إلى نصابها ، لا سيما وأن أخيه الأكبر منه مباشرة كان اسمه « جمال الدين » ، ولم يكن هناك بد من تسمية أخي جلال باسمه الجديد « جمال » ، وأصبح فى بيتنا « جمال

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

الدين و «جمال» . وما هون من الأمر أننا كنا ننادى هذا الأخير باسم «لولو» طوال حياته مدعى لأى لبس أو خلط بينهما ، وعرف بيننا بهذا الاسم واشتهر ، وسئلنى كيف أن اسم الشهرة قد أنقذه من شر مستطير .  
وعندما ولد أخي ، كان على رأس الحكومة في مصر عبد الخالق باشا ثروت الذي استقال في مارس ١٩٢٨ ، وخلفه في رئاسة الوزارة رئيس الوفد وخليفة سعد باشا زغلول ، مصطفى النحاس باشا ، غير أنه لم يبق في الحكم مدة طويلة ، فقد أقاله الملك فؤاد في شهر يونيو من هذه السنة ، وحلَّ البرلمان في شهر الثالثي أي في شهر يوليه ، وعطل الدستور ، وتولى محمد محمود باشا رئاسة الوزارة بمرسوم ملكي ، وبمبادرة بلدوين الذي كان يرأس حكومة بريطانيا العظمى حتى ١٩٢٩ .

وكان أبي يعمل في المساء أيضاً مصححاً بجريدة «اللواء» ، التي كان يصدرها محمد توفيق دياب ، بعد أن اضطر إلى ذلك لمواجهة أعباء المعيشة المتزايدة . وكان يسعى في الوقت ذاته للتعيين في مدارس وزارة المعارف العمومية (ال التربية والتعليم حالياً ) ، ونجح في ذلك واستلم عمله بإحدى مدراسها الواقعة في حى شبرا بالقرب من

المدرسة التوفيقية ، واضطرأبى إلى تغيير السكن ليكون على مقربة من مدرسته . وقد قضينا فى هذا الحي كل أيام الصبا والشباب ، وأمضينا فيه زهرة العمر .

وفي سنة ١٩٣٦ ، وهى سنة اعتلاء فاروق عرش مصر بعد وفاة والده الملك فؤاد ، وصل أخى إلى سن دخول المدرسة الابتدائية ، فالتحقه والدى بمدرسة شبرا الابتدائية للبنين ، وكانت تقع بالقرب من بيتنا وفي مواجهة مدرسة التوفيقية الثانوية . فامضى بها سنوات الدراسة الابتدائية الأربع دون أحداث تذكر سوى ولعه بـلعبة كرة القدم ، وتشوّقه إلى حصة « فلاحة البساتين » ، التي كانت مقررة علينا في ذلك الزمان !

وحصل على الشهادة الابتدائية في يونيو ١٩٣٩ . وفي سبتمبر من هذا العام أعلنت الحرب العالمية الثانية . ولم تدخل مصر هذه الحرب إلى جانب الحلفاء إلا في فبراير سنة ١٩٤٥ ، ولكننا ذقنا أهواها وتحملنا آثارها .

وقدم أخى أورقه للالتحاق بمدرسة التوفيقية الثانوية ، وقبل بها بالسنة الأولى . وقد أنشئت هذه المدرسة في عهد الخديو توفيق

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

---

( ١٨٧٩ - ١٨٩٢ ) الذى تبرع ببناتها ( ويقال إنه كان عبارة عن اصطبل للخيول والعربات الخديوية ! ) ، ولذلك سميت باسمه . وشهدت هذه المدرسة كل مراحل تطوره ، وانصهرت موهبته فى بوتقة هذه المدرسة العريقة التى كانت من المدارس الثانوية التى يشار إليها بالبنان فى مصر ، وكانت هى والمدرسة السعيدية والمدرسة الخديوية ، ومدرسة فؤاد الأول من أشهر المدارس علمياً ورياضياً .

فقد كان على رأس المدرسة التوفيقية فى ذلك الوقت ناظرها الجليل والمرىقى الفاضل عبد الحميد نجاتى ، وخلفه الاستاذ الكريم عاطف البرقوqi . وكانت المدرسة تضم نخبة من الأساتذة المعروفيين فى عالم الرياضيات والعلوم والفلسفة والجغرافيا والتاريخ . كما كانت تجمع أكبر اللاعبين فى معظم ميادين الرياضة ولا سيما كرة القدم . وكانت تقام بها أقوى مباريات كرة القدم التى كنا لا نختلف أبداً - أنا وأخى جمال - عن حضورها عصر كل خميس . وكانت بها أسماء لامعة فى سماء كرة القدم مثل عبد الكريم صقر ، والجندى ، ومذكر ، وغيرهم من المهرة فى كرة القدم .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

وفي هذه المدرسة - وبالتحديد في آخر سلة له بها - التقى بأستاذه الجليل المرحوم محمود جمال الدين الذي كان يدرس له علم الجغرافيا في السنة التوجيهية بالقسم الأدبي . وكان هذا الأستاذ بعلمه وفضله هو الذي حبب الجغرافيا إليه خصوصا بعد أن اكتشف نبوغه وولعه بهذا العلم واستعداده الفطري له . وكم مرة رأيت فيها أخي وهو يصعب أستاذه حتى باب داره - وكانت تقع خلف دارنا مباشرة - وهو يحدثه عن الجغرافيا !

وواكبت سنوات دراسته في المدرسة التوفيقية سنوات الحرب كلها تقريبا ، وما أفرزته من آلام وخراب ودمار . ولكن الحياة لم تتوقف ، بل سارت بحلوها ومرها . وكان من المتفوقين في دراسته ابتداء من السنة الأولى ، وكان يستذكر دروسه من أول يوم في السنة حتى لا تراكم عليه قبل الامتحانات ، وكان لا يتوانى عن سهر الليلى استعدادا لدخولها . وقد تكللت جهوده بالنجاح ، فحصل على شهادة التوجيهية ( الثانوية العامة حاليا ) بتفوق في شهر يونيو ١٩٤٤ ، وكان ترتيبه السادس على طلبة القطر المصري بأسره .

وتعرف أخي في هذه الفترة على زملاء له من طلبة المدرسة التوفيقية ربطه بهم روابط الزمالة والصداقة ، ومنهم المرحوم الدكتور رفت المحجوب ، والدكتور صبحي عبد الحكيم والدكتور عبد العزيز الشريبي وغيرهم من كبار الشخصيات التي لعبت دورا هاما في حياة مصر في السبعينات والثمانينات . وكانت له مجموعة من الأصدقاء يخرج معهم للتنزه أو للعب الكرة . وهكذا كانت تمضي إجازاته الصيفية أثناء الحرب ، وبعد انقطاعنا عن الذهاب إلى بلدتنا ، ناي ، بعد وفاة جدتي . وكانت مطلعه أيضا القراءة ، سواء كانت كتب علمية أو روایات من روایات الجيب التي كانت تصدر في ذلك الوقت تحت إشراف الأستاذ عبد العزيز أمين ، والتي كانت تتخطافها الأيدي وتتناقلها لأسلوبها الشيق وأحداثها المثيرة . فكان يعيش مع هذه الروایات لحظات جميلة ويمضي مع أبطالها ساعات ممتعة ، ولا ينفك يتحدث عن أرسين لوبين أو شرلووك هولمز وعن مغامراتهما وأعمالهما الجهنمية ! وكان عادة ما يذهب إلى إحدى دور السينما الصيفية التي كان حى شبرا يعج بها ، وكانت تعرض آخر وأحدث الأفلام الأمريكية وأخر

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

أنباء الحرب في نشراتها الإخبارية التي كانت تسبق عرض الفيلم  
الرئيسي .

ولما حصل على شهادة التوجيهية ، توجه بلا تردد صوب قسم الجغرافيا بكلية الآداب - جامعة فؤاد الأول ( القاهرة حاليا ) لتقديم أوراقه لمواصلة دراسته الجامعية . فقد كان يعرف هدفه وطريقه الذى رسمه لنفسه بعد أن أضفى علم الجغرافيا بالنسبة له مطمح آماله ، ومجال أحلامه ومرىط فرسه وتعلقاته فى الحياة . وقد شجعه على ذلك ما كان يتمتع به من موهبة طبيعية فى ميدانى الرسم والخط ، فقد كان رساما وخطاطا رائعا إلى جانب حبه للمusic والطرب والغناء .

ذهب جمال إلى أبي ليخبره بالنتيجة ويعزمه على مواصلة دراسته الجامعية والالتحاق بقسم الجغرافيا . فوافق على الفور ، ووعده بأن يذهب معه لتقديم الأوراق . ولا تسل عن فرحة أبي وفخره وهو يصحب نجله إلى كلية الآداب فى الجيزة لتقديم أوراقه ودفع الرسوم المطلوبة ! فقد كان هذا تجسيدا لتعبه فى تربيته لأولاده ، وتحقيقا لأمل

كان يراوده ، ولم يتحقق قبل ذلك ! فقد كان أخي أول من يحصل على التوجيهية وأول من يدخل الجامعة من عائلتنا ! فكان هذا بالنسبة له ولوالدته ، بمثابة يوم فرح وعيد !

وقبل أن تبدأ الدراسة في قسم الجغرافيا ، استعد لها كل الاستعداد ، وأشترى حاجياته من كراسات المحاضرات والأوراق والأفلام ، وعمل اشتراكاً في الترام ليقله في رحلتي الذهب والإياب من شبرا إلى الجيزة وبالعكس .

وكانت سنه قد تجاوزت السادسة عشر بشهور .  
وقسم أخي وفته بين حضور المحاضرات والتتردد على مكتبة القسم والكلية ، مع متابعته من حين لآخر لبعض الأنشطة الاجتماعية والثقافية .

وحدث في سنته الأولى ، أن سقط بين عربات الترام من شدة الزحام ، فأصيب إيهام قدمهإصابة شديدة ذهب على أثرها إلى المستشفى للعلاج ، ولكنه خرج منها في مساء نفس اليوم بعد أن صمدوا له جراحه ، واطمئن على أنه لا توجد أي رضوض أو كدمات أخرى .  
وفي شتاء هذه السنة ، أى في أوائل سنة ١٩٤٥ ، حضر إلى بيته

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

في المساء ، أربعة من رجال البوليس السرى ( لعلهم من المخبرين ) ، وطرقوا الباب ، ففتحت لهم والدى . ولما طلبوا منها أن تستدعي ابنها جمال ليذهب معهم إلى قسم البوليس لأخذ أقواله فيما نسب إليه من أنه عضو في حزب مصر الفتاة ! فردت عليهم والدى بكل براءة بأن « جمال » غير موجود ، وأنه في طنطا بمعهد إعداد مدرسى الرياضة البدنية ! ( وكانت تقصد بذلك جمال الدين شقيقى الأكبر منه ، والذى كان فعلا قد التحق بهذه المدرسة بعد أن فشل فى تعليمه الثانوى ) . ولما قالوا لها: إنه طالب بالجامعة كما ورد بالأوراق التى فى حوزتهم ، أجابتهم بأن هذا هو « لولو » ، أما جمال فهو فى طنطا ! وانصرفوا بعد أن تركوا لها طلب الاستدعاء باسم جمال حمدان !

وقصت والدى هذه الواقعة على والدى عند عودته إلى البيت ، فقال لها إن « لولو » هو جمال حمدان ، وهذا هو اسمه ، أما « لولو » فهو اسم الدلع ! ثم ذهب أبي إلى قسم الشرطة ، ونفى اتصال أخي بأى حزب أو انتسابه إلى حزب مصر الفتاة كما أكد له أخي قبل أن يذهب إلى هناك ، وأغلق المحضر على ذلك !

وقد جاءت هذه الحملات البوليسية وازدادت عقب اغتيال  
أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء في فبراير ١٩٤٥ ، الذي أعلن الحرب  
على ألمانيا واليابان إلى جانب الحلفاء ، وتولى بعده محمود فهمي  
النقراشي باشا .

وكان الوضع السياسي في البلاد غير مستقر ، وانتشرت المظاهرات  
والاضرابات التي اتسمت بالعنف ويدخلون عنصر الراديكاليين والأخوان  
المسلمين ، ومطالبتهم بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وبجلاء الإنجليز عن  
مصر ، وإنهاء السيطرة البريطانية على السودان . وشرح لي أخي بعد  
ذلك أنه ذهب بالصدفة للقاء صديق له ، فوجده في اجتماع للطلبة  
الأعضاء في حزب مصر الفتاة ، فتكلم معه لمدة دقائق ، ثم غادر  
القاعة ، ولكن يبدو أن عيون الحكومة قد رصده !

انتقل أخي إلى السنة الثانية بعد أن نجح بدرجة جيد جدا في السنة  
الأولى . وبانتقاله إلى هذه السنة ، انتقل إلى الرحاب الواسعة لعلم  
الجغرافيا ، والتقي بأسانته الأفذاذ الذين سيتركون بصماتهم القوية على  
طريقة تفكيره وعلى نظرته إلى الجغرافيا . ففي هذه السنة درس على  
يد جهابذة علماء الجغرافيا في مصر ، وعلى رأسهم الأستاذ مصطفى

صاحب شخصية مصر/ جمال حдан  
وملامح من عصرية الزمان

---

عامر، وكان جمال يجله وي يكن له كل تقدير، ويعتبره المؤسس والأب الروحي لمدرسة الجغرافيا المصرية الحديثة ، وإليه أهدي أول أعماله التي صدرت له باللغة الإنجليزية عام ١٩٥٥ ، وهو كتاب . Studies in Egyptian Urbanism.

وكان في مطلع حياته قد اعتماد على إهداء مؤلفاته وأعماله إلى أساتذته من الجغرافيين ، وسرى أنه توقف عن هذه العادة عندما قطع صلاته بهم ، وأصبح يهدى مؤلفاته رأسا إلى القراء كافة .

ومن هؤلاء الأساتذة ، الأستاذ الدكتور محمد عوض محمد الذي تأثر به جمال تأثرا شديدا في بداية حياته الجامعية ، وكان لفريط إعجابه به يحفظ مؤلفاته عن ظهر قلب ، لا سيما كتابه ، نهر النيل ، .

وظل جمال يكن الحب والود لأستاذه الدكتور عباس عمار حتى بعد أن ترك سلك التدريس الجامعى ، وأهدى إليه مؤلفه ، جغرافية المدن ، رمزاً لحب وتقدير كبيرين . وقد كان الدكتور عمار . رحمة الله - يحدثنى عنه كلما التقينا في حديقة جامعة جليف الذى كان يمضى بها عدة ساعات كل يوم أحد ، حيث كان يعمل نائباً لمدير عام منظمة

العمل الدولية ، و كنت أعمل في ذلك الوقت مساعداً للأستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة جنيف . وقال لي في إحدى المرات ، ولعلها الأخيرة قبل وفاته : إن كتابات جمال حمدان ستغير وجه الجغرافيا في مصر ، بل وتاريخها إذا كان هناك من يسمع ومن يقرأ ! أما الدكتور سليمان حزین - أطال الله في عمره - فقد كان بالنسبة له رائد فلسفة الجغرافيا دون منازع وحامل رايتها ومبدعها . وكان له أستاذة يعزّهم ويقدّرهم ، منهم الدكتور محمد محمود الصياد والدكتور حسان عوض .

وكان أخي قد التقى بالمرحوم الدكتور محمد الفاتح عقيل قبل سفره إلى جامعة هارفارد في أمريكا ، وذلك بحكم الجيرة ، فقد كان الدكتور يسكن في مقابلة بيتنا . وأنذّر أنّهما كانوا عند عودة الدكتور عقيل في إجازة ، يمضيان الساعات الطوال وهو يتحدثان على قارعة الطريق ويتجادبان أطراف الحديث عن الجغرافيا وعن حياة الدكتور عقيل في أمريكا . وظلت هذه الصدقة قائمة لحين عودته من أمريكا وتعيينه أستاذاً بقسم الجغرافيا - كلية الآداب جامعة الإسكندرية .

وكانت هذه السنة الثانية ، سنة حاسمة في حياته الجامعية ، فقد

حصل فيها على الامتياز الذى خوله فى السنة الثالثة حق تعلم اللغة الألمانية ، وحضور محاضرات تتعلق بمنهجية البحث ، وهى محاضرات كانت مقصورة على الطلبة الحائزين على درجة الامتياز فى السنة الثانية .

وهكذا تعلم اللغة الألمانية كأستاذة الدكتور عوض محمد عوض ، وكان ذلك على يد المسز بيرج ، والبرفسور ران ، وهو مستشرق سويسرى ، له أبحاث ودراسات هامة فى التاريخ الإسلامى ، وقد كان لى حظ الاطلاع على ذخائر مكتبه من الكتب العربية والأجنبية التى اشتراها من مصر والعالم العربى ، والتى باعتها ورثته لمكتبة چليف .

وحصل جمال على درجة ليسانس الآداب بامتياز ( أو بتقدير ممتاز ) ، وكانت سنّه آنذاك لا تتجاوز العشرين سنة ١٩٤٨ فعينه معيدا بالكلية فى نفس سنة تخرجه أى في أكتوبر ١٩٤٨ . وفي تلك الأثناء ، توطدت علاقته بالإستاذ محمود أمين العالم الذى كان يحضر لرسالة الماجستير ويعمل فى الوقت نفسه أميناً لمكتبة قسم الجغرافيا . وكم من مرة عادا معاً من القسم مشيا على الأقدام بمحاذة شاطئ النيل يتحدثان ويتناقشان .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

وانطبقت على جمال شروط البعثة الفهمية ، وهى البعثة التى كانت قد خصصتها ورثة المرحوم كامل باشا فهمي للطلبة المتفوقين من حصلوا على ليسانس الآداب بامتياز وعمرهم يقل عن إحدى وعشرين سنة عند التخرج ، لكي يستكملوا دراساتهم العليا فى الخارج على نفقها وتحت إشراف ادارة البعثات . فاختير لهذه البعثة ، وأعد عدته للسفر إلى إنجلترا ليحقق أكبر حلم في حياته العلمية والعملية وهو الحصول على درجة الدكتوراه ، والتعمق في علم الجغرافيا واكتناه أسراره . . .  
تجهز أخي للسفر إلى إنجلترا ، وأجرى اتصالاته بإدارة البعثات ، وراسل معظم جامعات إنجلترا المشهورة ، ووقع اختياره بعد البحث والتنقيب على قسم الجغرافيا بجامعة ريدنج ، الذى كان يضم أعظم أساتذة الجغرافيا في العالم .

وحزم حقائبه ، وحصل بفضل شركة كوك للسياحة على مكان له

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

على ظهر باخرة انجليزية من الباخرة الناقلة للجنود التي كانت تمر  
عبر قنادة السويس .

وفي شهر مارس من سنة ١٩٤٩ ، وكنت أنا في التوجيهية بمدرسة  
شبرا الثانوية (القسم الفرنسي) ، خرجت الأسرة لوداعه في محطة  
مصر ، حيث استقل القطار المسافر إلى بور سعيد ، وكنت أنا في  
صحبته . وانهال البكاء وأنهمرت الدموع مع تحرك القطار ، ومع  
الدعوات بسفر سعيد وبتحقيق الآمال !

ووصلنا إلى بور سعيد عند الظهر ، واتجهنا رأسا إلى الميناء حيث  
كانت ترسو الباخرة . وبعد أن انتهى من جميع إجراءات السفر ، صعد  
إلى الباخرة بعد أن قبلي مودعا ، وفرت الدموع من عيني ، وحاولت  
أن أخفيها ، ولكنه ربت على كتفي وقال : يا أخي يجب أن تفرح ، فأننا  
ذاهب لأحقق أغلى أحلامي ! وأصناف : إننا كلنا عاطفيين جدا !  
وأقلعت الباخرة في المساء وهي مكتظة بالجنود الانجليز العائدين من  
استراليا إلى بلادهم . . . .

ووصل إلى ميناء سوئها مبتون في إنجلترا بعد رحلة عاصفة لاقت  
فيها الأحوال عد خليج بسكاي حيث اشتدت الرياح وارتقت الأمواج

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

واضطراب البحر واضطربت معه الباخرة ومن فيها . و منه استقل القطار المسافر إلى لندن ، وتوجه إلى مكتب البعثات لإبلاغه بوصوله ، وتلقى التعليمات والإرشادات اللازمة . وأمضى عدة أيام في لندن قبل أن يسافر إلى ريدنج . وحکا لي كيف أنه أمضى هذه الأيام وهو يذرع لندن يميناً ويساراً وطولاً وعرضاً ! وكان معظم وقته يقضيه في زيارة المتاحف كالمتحف البريطاني ، ومتحف فيكتوريا وألبرت ، وتيت جاليري ، كما زار معالمها وحدائقها ، ولم ينس زيارة بيكر ستريت الذي يقع فيه بيت شرلوک هولمز ، كما مر على شارع اكسفورد فاشترى لنفسه قبعة صحبته طوال فترة وجوده في إنجلترا ، وعادت معه إلى القاهرة حيث قبعت في دولاب ملابسه ! وكان في شبابه خريصاً على حسن هلامه ، أنيقاً في ملبيه .

و سافر من لندن إلى ريدنج فوصل إليها بعد ساعتين ، مارا بالريف الانجليزي الجميل الذي كان فرأ وسمع عنه من قبل . و ترك حقائبه بمخزن أمانات محطة السكك الحديدية ، واستعلم عن موقع الجامعة ، وذهب إليها فوراً ، و تقدم إلى مكتب المسجل لاتخاذ الإجراءات اللازمة ، والحصول على عدة علاوين للسكن . و غادر الجامعة مزوداً

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
ولامع من عصرية الزمان

بهذه العناوين ، وامتدى إلى سكن مريح بغرفة مفروشة عدده سيدة كبيرة السن كانت تؤجرها بالأسبوع للطلبة . واستقر به الحال عندها ، وكانت ترعاه وتدير له شلونه ، وتقوم بجميع أعمال الطبخ والغسيل والكى نظير بضعة شلالات إضافية .

وتقع مدينة ريدنج في مقاطعة بير كشاير على نهرى كلت والتيمس . وانشئت جامعتها سنة ١٨٩٢ كفرج لجامعة أكسفورد ، واستقلت عنها نهائياً في سنة ١٩٢٦ . وهي جامعة مشهورة بأقسامها التي تدرس فيها العلوم الزراعية والألبان والعلوم الإنسانية كالجغرافيا والأنثروبولوجيا .

وبهذه المدينة صناعات مزدهرة مثل مصاهر الحديد ، ومصانع المعدات والآلات الزراعية ، كما اشتهرت بصناعة «البسكويت» ، والطباعة والجعة . وهي مدينة عتيقة سكنها السكسون قبل عصر الدانمركيين . وبها كنيسة سان لوران التاريخية ، ذات الطابع النورماندي ، والتي أصبحت كنيسة بروتستانتيه في أواخر القرن الخامس عشر .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

---

وكانت الجامعة قد حددت له موعدا لمقابلة الأستاذ الذى سيشرف على دراساته ورسالته ، وهو الأستاذ أوستين ميللر ، الأستاذ بقسم الجغرافيا بالجامعة . وحدثنى بعد عودته من إنجلترا أنه قد أحس بالارتياح عند لقاء أستاذه وأمضنها معا وقتا طيبا للتعرف وتبادل الحديث حول رحلته وانطباعاته عن إنجلترا وعن مدينة ريدنج ، وغير ذلك من الأمور العامة ، ولم يتطرق الحديث إلى الدراسة أو أى شيء من هذا القبيل . ودعاه أستاذه لزيارته فى منزله وتناول طعام الغداء مع أسرته . وتكلما بعد ذلك فى الموضوعات العلمية والدراسية ، وحدد له موعدا أسبوعيا للمقابلة . وكان أخي يحضر محاضراته ويجمع مادة رسالته فى آن واحد ، ويعرضها على أستاذه خلال مقابلة الأسبوعية .  
ويعتبر الأستاذ أوستين ميللر من كبار علماء الجغرافيا الانجليز ، وكان الطلبة يقصدونه من جميع الأقطار لتبخره فى علمه واهتمامه بدراسات الشرق الأوسط . وقد توفي هذا الأستاذ فى ٣١ مارس ١٩٦٨ ، وقد حزن عليه أخي حزنا شديدا ، فإليه يرجع الفضل فى انكبابه على مؤلفات كبار الجغرافيين والمؤرخين العرب ، وكلفه بترجمة عدة أجزاء

من خطط المقرئى إلى اللغة الانجليزية .

واختار جمال موضوعا لرسالة الماجستير حول « سكان وسط دلتا النيل » . وبعد مضي سلة أو أكثر من العمل المتواصل ، وضع خطة بحثه وكتب مقدمتها وعرضها على أستاذة الذى رأى أن هذا العمل أكبر من أن يكون موضوعا لدرجة الماجستير ، وأنه يرقى إلى أن يكون موضوعا مناسبا لدرجة الدكتوراه ، لا سيما بعد أن لمس الأستاذ ميللر تفوقه ونبوغه العلمي . فشجعه على المضي فى البحث ، وطلب منه العودة إلى مصر لاستكمال أبحاثه ومراجعته . وعاد فعلا إلى مصر بعد أن كان الإرهاق والتعب قد أخذدا منه كل مأخذ ، وأعياد الجهد وأصناده السهر مع الكتب والمراجع ، ولم يستطع مقاومة طقس إنجلترا الرديء فى الشتاء ، وكان قد غلبه أيضا الحنين إلى بلده مصر ، فقرر العودة فى سنة ١٩٥١ . وتعهدته والدته برعايتها وأحاطته بمعايتها وحناها ، فاسترد صحته وارتقت معدوياته ، وما أن انتهى من جمع مادة رسالته ، والاتصال بأصدقائه وأساتذته ، حتى قفل عائدا إلى ريدنج ، ليبدأ مرحلة كتابة الرسالة ، وهى أصعب المراحل وأهمها .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

وانتهى من كتابة رسالته ودفع بها إلى الآلة الكاتبة لطبعها ، بعد أن وافق الاستاذ ميلار وأثنى عليها . واستعد للمناقشة التي جرت بالتحديد في شهر يونيو ١٩٥٣ ، ومنحته الجامعة درجة دكتواره الفلسفية في الجغرافيا مع مرتبة الشرف الأولى .

وكان أخي طوال هذه الفترة يراسلنا وينتھي ببعض الصور التذكارية التي التقى لها ، وما زلت احتفظ ببعضها عددي حتى الآن . وتعرف أثناء وجوده في ريدنج على زميلته في الجامعة الآنسة ، ويليما ، ، وارتبط بها ارتباطاً وثيقاً ، فكانا يذهبان معاً إلى المحاضرات وإلى المكتبة ، ويخرجان إلى اللزهة في عطلات نهاية الأسبوع .

وسافرا معاً في صيف ١٩٥٠ إلى ميناء برایتون حيث أمضيا عدة أيام للاستجمام والراحة من عنااء الدراسة والبحث . ولما انتهى أخي من رسالته عرض عليها الزواج والسفر معه إلى القاهرة . ولكنها ترددت في الانتقال النهائي إلى مصر ، ووعده بالتفكير في الموضوع واتخاذ قرارها في هذا الشأن بعد أن فشلت في إقناعه بأن يتزوجاً في ريدنج

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

وان يستقر بها . واستمر يراسلها بعد عودته إلى مصر لعدة سنوات ، ولم تقطع العلاقة بينهما إلا بعد زواجهما ، وارتباط جمال بعلاقة حب مع إحدى زميلاته في الكلية . ولم تسفر هذه العلاقة الأخيرة عن تحقيق رغبتهما في الزواج نظراً للمشاكل التي صادفها أخيه في عمله ، وانتهت بعد عدة سنوات كسابقتها بزواج زميلته من زميل آخر !

ودع جمال الأصدقاء والمعارف في ريدنج ، عائداً إلى بلده .  
واستقل القطار إلى لندن ومنها إلى باريس التي وصلها في منتصف الليل تقريراً . فذهب إلى أقرب فندق وألقى بأمتعته ، وخرج إلى عرض باريس مدينة الدور ليستكشف مبانيها وشوارعها ، واجتاز الشانزليزيه واقترب من قوس النصر ليراها رأى العين ولكي يسترجع ما قاله أحمد الصاوي محمد وتوفيق الحكيم وغيرهما عن هذه المدينة الساحرة التي جمعت بين الفنون والعلوم . واستمر الحال على هذا المトوال طوال أربعة أيام . وأكد لي بعد ذلك أنه لم يترك أى ركن في باريس إلا وزاره ، وخاصة الحي اللاتيني والأنفاليد ومونبارناس والمونمارتر ! وعاد محملاً بذكريات جميلة كان يحدثني عنها كلما عدت إلى القاهرة من باريس .  
وركب القطار من باريس إلى مرسيليا ، وصعد إلى ظهر البالخة الإيطالية التي أقلته إلى الإسكندرية . . . . وابتعدت أوروبا وابتعد عنها ،

وأتجه بالقطار إلى القاهرة مفعما بالأمال الكبار ، ومتفائلا  
بالمستقبل . . .

وكان قد سمع ، بطبيعة الحال ، وهو في ريدنج ، عن قيام ثورة  
الضباط الأحرار في مصر في ٢٣ يوليه ١٩٥٢ . ورغم أنه كان غارقا  
في كتابة رسالته ، فإنه كان يتبع الأخبار بلهف شديد . وكانت الأنباء  
قد حملت إليه قبل ذلك أحاديث حريق القاهرة في ٤ فبراير من نفس  
هذه السنة ، وما أعقب ذلك من إقالة وزارة مصطفى النحاس باشا زعيم  
الوفد ، وتولى على ماهر باشا مقايلد الوزارة لفترة قصيرة ، ثم جاء من  
بعده أحمد نجيب الهلالي باشا ، ثم قيام الثورة وخروج الملك فاروق من  
مصر . وتواترت هذه الحوادث الجسام وأخذت تترى بسرعة البرق ، ثم  
تمحورت وتمركت حول اللواء محمد نجيب وأعضاء مجلس قيادة  
الثورة .

وهكذا عاد جمال إلى مصر ليجد أن الدنيا غير الدنيا التي تركها ،  
 وأن الحال غير الحال الذي اعتاده . وكانت الأحزاب قد حلّت ، وألغيت  
المملكيّة وأعلنت مصر جمهورية رئيسها اللواء محمد نجيب الذي كان في  
نفس الوقت رئيساً للوزراء ، وصدر الدستور المؤقت .

وتفاعل جمال خيرا - كخيره من ملابس المصريين - بقيام الثورة ، وأحس بارتياح كبير لهذا التغيير ، ونطلع إلى المشاركة الفعلية في هذه الثورة ، بما يملكه من علم وفكرة . وكان يرى في ذلك الوقت أن نجاح هذه الثورة لن يتأنى إلا بتكتل كل الشعب وراء ثورته ، بالعمل والإنتاج . قال لي أخي في إحدى المرات وكانت أزوره في مكتبه بقسم الجغرافيا ، أنهم وزعوا عليه وعلى زملائه في الجامعة استبيانا فيه سؤال عن الوظيفة التي يرغب في شغلها والتي يستطيع في إطارها خدمة وطنه . فكانت إجابته على هذا السؤال هي : وزير الشئون البلدية والقروية ( وكانت قائمة في ذلك الوقت ) . ولما أعرت له عن دهشتي لاختيار هذه الوزارة ، وبيان يكون وزيرا مرة واحدة ، قال : يا عزيزي ! إن من يتولى هذه الوزارة يملك في يده نهضة مصر أو تخلفها ! وعدد لي مزايا وفوائد هذه الوزارة ومهامها ، وأن الشئون البلدية هي البنية الأساسية التي بدونها لا تستقيم حياة الناس في المدن ، وأن الشئون القروية هي العمود الفقري الذي بدونه ينقسم ظهر مصر ! وكان الحق يقال متحمسا لخدمة مصر في المكان المناسب الذي يستطيع من خلاله أن يحقق لها الرفعة والتقدم .

وعثر جمال على شقة صغيرة بحى الدقى ، اختارها بنفسه وانتقل إليها فى شهر اكتوبر ١٩٥٧ ، تقاضياً للمعاناة التى كان يلاقيها يومياً فى الانقال من بيتنا فى شبرا إلى عمله فى الجيزة ، والتماساً للهدوء والسكينة . وكان هذا الفراق شديد الوطأة على الأهل ، وخاصة أن أبي كان قد فوجئ فى هذه السنة بأنه قد أحيل إلى المعاش ! أقول فوجئ لأنه لم يكن يعلم أنه قد وصل إلى سن الستين وهى سن التقاعد ! وكان يشعر أنه ما زال صالحًا للعمل ! فاضطررت أحواله ، واعتلت صحته بعض الوقت ، ولكنه سرعان ما تماست بعد أن قرأ في الجريدة إعلاناً تطلب فيه المملكة العربية السعودية عدداً من المدرسين المصريين للعمل بمدارسها . وتقدم والدى ومعه بعض زملائه إلى المكتب الثقافي السعودى بالقاهرة ، وأتم تعاقده للعمل في مدارس المملكة العربية السعودية . وظل أبي هناك طوال عشر سنوات . وكانت أنا قد انتقلت من قنصليتنا العامة في كلكتا بالهند ، إلى سفارتنا الجديدة في تونس . وبهذا انفطرت عقدنا ، وخلا البيت على والدى واحتوى واحتوى الصغار . ثم تقرر على إثر ذلك أن تنتقل الأسرة إلى سكن جديد في حدائق القبة .

ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن !  
وأحس أخرى بآثار الاختلالات السياسية والاجتماعية والثقافية التي  
هزت البلاد . وظهر له أن النظام السياسي للثورة لم يكن محوره سوى  
مركزية شديدة للسلطة مع هيمنة كاملة للمؤسسة العسكرية ، اختلطت  
فيها العلاقات الشخصية ( أهل الثقة ) بالعلاقات السياسية ، مع سيطرة  
الشلل وتراجع الضمانات الديمقراطية الحقة .

وكان موقفنا بأن أى جهاز للحكم إذا ما استحوذ على السلطة  
بلا حدود ، فإنه يستطيع أن يرفع إنسانا ويخفض إنسانا آخر بلا قواعد  
أو أسس سوى الولاء للنظام ، وبذلك تنتهي المعايير الموضوعية المتصلة  
بالكفاءة أو النبوغ ، وهي كل ما كان يملكه جمال حمدان !

وقد تأكد له ذلك عندما وقعت مصر معاهدة استقلال السودان ،  
وكان يعارض الطريقة التي تم بها ذلك وكان يقول علينا أمام الطلبة في  
محاضراته : لقد أضاع الصاغ الرافق مصر والسودان معا ! كما رفض  
رفضاً باتاً أن يكون ذيلاً لأى من أعضاء هذه المؤسسة العسكرية ، ولم  
يقبل ما عرض عليه ليكون مستشاراً للمؤتمر الإسلامي الذي تأسس في  
ذلك الوقت .

وساءت الأمور بالنسبة لأخى فى قسم الجغرافيا بكلية الآداب .  
وبدأ الكل يتريصون به الدواير . وكان من سوء طالعه ان التقى -  
غير عالم ولا متعمد - بتلك الكثرة من الديناصورات التى كانت لهم  
صلة ، بفلان ، أو ، علان ، ، ومن كانوا يعتبرون ذلك جواز  
مرورهم صوب اعتلاء المناصب القيادية بلا مجهد أو علم . ولم  
يقتصر الحال على تخطيه فى الترقية ، بل وصل الأمر إلى حد حرمانه  
من تدريس مادته المفضلة وهى جغرافية المدن ، وتكليفه بتدريس مادة  
الخراطط لطلبة السنة الأولى ، والتي عادة ما كان يقوم بها المعيدون ! .  
وقاسى جمال من هذه السفاهات الكثير ، وهى صفات يطول شرحها ،  
وهي بلا شك معروفة للجميع .

وانتب جمال للعمل فى جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ، وهناك  
وجد أن أحد الزملاء من سبقوه فى العمل بالخرطوم ، قد سطا على  
كتبه ومحاضراته وطبعها ووزعها على الطلبة على أنها من بنات  
أفكاره ! وأصيب بالدهشة واستولى عليه الغضب ، وأثبت لطلبه أنه  
صاحب هذه النصوص . وعاد أخي بكل المرارة بعد أن أمضى فى  
الخرطوم فصل دراسى واحد ، أنجز فيه أحسن دراسة كتبت عن مدينة

الخرطوم باللغة الانجليزية ، ليجد أن نفس هذا الاستاذ ينافسه على الترقية بل ويحصل عليها قبله بدون وجه حق . . . وأيقن أخي في قرارة نفسه - وبعد أن تأثرت صحته من جراء هذه الترهات - أنه لن يقوى على الوقوف أمام هؤلاء الديناصورات ، وأنه لا سبيل إلى محاريتهم بسلاحه الوحيد الذي كان لا يملك سواه وهو سلاح العلم . ورأى أن الأولى به أن ينسحب من هذا الميدان ، وأن يترك هذه الكعكة ليتقاسموها بينهم . . . وأن يكرس نفسه لتحقيق مشروعه الكبير الذي كان يحلم به . . .

وعايشت أخي في محنته هذه ، فلم يكن قراره بالانسحاب والاعتزال بالأمر الهين ، ولا هو بالقرار السهل . وقد اقتربت عليه أن يأخذ إجازة دراسية ، والسفر إلى إنجلترا لإنجاز ما كان يطمح إليه من الحصول على دكتوراه الآداب ، وهي أعلى من دكتوراه الفلسفة في إنجلترا ، ولم تملح إلا لعدد قليل من العلماء والأساتذة المبرزين . ولكن طلبه رفض ! ولم يتبق أمامه سوى الانسحاب . . .

وعلدئذ اعتكف بمنزله ، وأرسل استقالته إلى الجامعة ، ولكنه حتى في هذه المرة لم ينج من المضايقات والمعاكسات ، وعلقت استقالته لمدة

ستين مما أعاشه عن الحصول على حقوقه ! ولم يخطيء أخي التقدير ، فقد كان قراره في ذلك الوقت هو القرار السليم الذي كان ولابد من اتخاذه رغم قسوته وطرفه !

وأصيب بحالة من الكآبة والماراة ، ومرّ بفترة عصبية أمره طبيبه المعالج على أثرها ، بالكف عن أي نوع من التفكير أو الكتابة . وسافرت معه إلى « حلوان » ، وكانت من أجمل ملتجمعات مصر وملجاً لطالبي الراحة والاستجمام ، قبل أن تلوثها عوادم المصانع . وهذاك تفرغ تماماً للرسم وسماع الموسيقى والخروج للن扎مات القصيرة ، والذوم المبكر . وعاد سليماً معافاً ، وأشد عوداً وصلابة وأكثر تصميماً على مواصلة العمل وتخطي الصعاب واقتحامها بطريقته الخاصة . وقد دامت حالة المخاض هذه قرابة شهرين ، هدأت فيها نفسه ، وناقش فيها أموره ، ورسم معالم مستقبله ، التي تبلورت في ذهنه .

ورتب بعدها حياته في العزلة ترتيباً صارماً بعد أن اهتدى إلى فكرته المتمثلة في اعتزال العالم ، والاعتكاف في داره ليعيش في محراب العلم بين كتبه وأبحاثه . ولزم شقته الصغيرة ، ولم يكن يخرج إلا قليلاً لقضاء حاجة أو لزيارة مكتبة أو دار نشر .

وكان قد استقر في نفسه أن السعادة ليست في المال ، ولا في الجاه ، ولا في المناصب العليا ، بل في تحقيق الذات بأداء رسالته التي وهب نفسه لها وهي العلم ولا شيء سوى العلم . ولا شك أن هذا الصراع بين مقتضيات العلم ومقومات الحياة قد دام لديه لفترة غير قصيرة .  
رسالته في إحدى المرات عن أسباب هذه العزلة الشديدة ، فقال بالحرف الواحد : اسمع يا عزيزي ! بوسعي أن أجلس في المقاهي والمنتديات وأضع رجلا على رجل وساقا على ساق ، وأقول أنا الدكتور جمال حمدان كما يفعل غيري ، ويمكن بسهولة أن أمسح جوخ لهذا أو لذاك لأصل كما يصل المُتسلقة ، ولكنني لم أخلق لهذا ولا لذاك ، ودعك من التفاهات والمظاهر الكاذبة ! وكان يرى أن الأمر لا يحتمل إلا الجد ، وأن مصر تمر بأدق مراحل تاريخها ، وأنه لابد من التصحيحية في سبيل تقدمها ونهضتها وإلا ساد انحلال عام في المعايير والمستويات الحضارية ، وهو ما يتهددها في الوقت الحاضر ، لا سيما بعد أن غرسوا لها في ظهرها ، دولة إسرائيل ، !  
وكان لا يسمح لأحد بأن يقتحم عليه عزلته دون موعد سابق .  
وكنت عندما أريد أن أراه ، أمر عليه في الصباح وأترك له بطاقة بموعده

حضورى ، أو أطرق بابه بطريقة معينة (عبارة عن ثلاثة طرق مقطعة) فإذا فتح الباب ، وكان مشغولاً في عمل أو يقوم بتمريناته الرياضية ، أجلسنى في هدوء في غرفة استقباله المتواضعة حتى يتنهى من عمله أو تمريناته .

وكان له ، طباخ ، يصنع له طعامه ويتولى تنظيف المنزل ، وشراء الحاجات من السوق ، ولا يأس من إرساله إلى البنك أو إلى مكتب البريد ! وكان هذا الطباخ بالإضافة إلى الصحف والمذيع ، بمثابة همزات الوصل بين جمال وبين العالم الخارجي !

وأذكر في هذه الفترة أن نصحه طبيبه المعالج بإجراء عملية ، الزائدة الدودية ، التي كان يشك منها . وذهبت إليه صباح اليوم المحدد لدخول المستشفى . وخرجنا بعد أن أعد عدته للعملية ، وإذا به ونحن في منتصف الطريق يقول لي : اسمع ! هيا بنا إلى بيتي ، فقد قررت عدم إجراء العملية ، فلست بحاجة إليها وكان هذا ما حدث فعلاً ، ولم يجر أخرى أي عملية جراحية في حياته . وتوصل بقوة عزيمته وتنظيمه لأكله والقيام بالتمرينات الرياضية ، إلى التغلب على متابعيه

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

---

---

الصحية إلى حدما ، ولكنها كانت تعاوده من آن لآخر نتيجة الإرهاق  
وكثرة التفكير والسرور .

ولم تكن له طريقة معينة في العمل ، ولم يكن يأخذ عطلة أسبوعية  
للراحة ، بل كان يعمل حتى يكلّ ، ويشعر بالتعب ، فيتوقف عن العمل  
ويخلد إلى الراحة التي كان يجدها في قراءة الصحف والمجلات مع  
ممارسة التمارين الرياضية ، فإذا ما أحس بأنه قد استعاد قوته ، عاود  
نشاطه تدريجيا حتى يستغرق في عمله كلية . وكان الفن والرسم وسماع  
الموسيقى من الأمور التي كانت تعتبر بالنسبة له ، صمام الأمان ،  
ضد أي نوع من الإرهاق العصبي .

وكان رغم هذا يفتح بابه لعدد من المقربين الذين كانوا يتربدون  
عليه من حين لآخر ، ذكر منهم الاستاذ يوسف القعيد والدكتور عبد  
العزيز كامل ، والاستاذ محمد حسين هيكل ، بعد ان ترك رئاسة تحرير  
الأهرام ، والاستاذ حسين ذو الفقار صبرى نائب وزير الخارجية سابقا  
قبل أن يُصدر مؤلفه ، يا نفس لا تراعي . . . ، وغيرهم من مثقفى  
مصر وتلاميذه ، وكان له موعد شهري مع ناشر مؤلفاته .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

---

---

كان جمال يعي في قراره نفسه أن الأقدار قد اختارت له ما أراد ،  
ولم يشعر عند انسحابه من الحياة العامة ، بأنه قد ألقى بنفسه في فراغ  
أو في ضياع ، بل بالعكس كانت هذه العزلة بالنسبة له فرصة للإنتاج  
والإبداع بعيدا عن أسوار الجامعة وقيودها ، ولما حُرم من إلقاء  
محاضراته فيها ، قرر أن يخرج بها على الجميع وأن يلتقيها على الملا ،  
وكان السبيل الوحيد المتاح أمامه هو التأليف .

وكان قد أصدر بعد عودته من البعثة عدة مؤلفات باللغة العربية  
( انظر قائمة مؤلفاته باللغة العربية الواردة في الملحق الأول ) ، نذكر  
منها :

- أنماط من البيات ، ١٩٥٨ ،
- دراسات في العالم العربي ، ١٩٥٨ ،

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

- جغرافية المدن ، ١٩٥٨ :

وذلك بالإضافة إلى عدة مؤلفات باللغة الإنجليزية ( انظر قائمة مؤلفاته باللغة الإنجليزية الواردة في الملحق الثاني ) .  
وأصدر بعد انتكافه عدداً من المؤلفات القيمة ، نذكر منها :

- المدينة العربية ( ١٩٦٤ ) :

- الاستعمار والتحرير في العالم العربي ( ١٩٦٤ ) :

- بترول العرب ( ١٩٦٤ ) :

- إفريقيا الجديدة ( ١٩٦٦ ) .

وكتب العديد من المقالات والبحوث التي نشرت في الصحف والمجلات المصرية ( انظر قائمة مقالاته المنشورة في الصحف والمجلات العربية والواردة في الملحق الثالث ) .

وكانت نكسة يونيو ١٩٦٧ ، هي التي فجرت شارة ملحمته الكبرى ، شخصية مصر ، فقد صدمته الهزيمة وهزت كيانه ، كما صدمت وهزت ملايين المصريين . وكان قد تنبأ بوقوع هذه الهزيمة في مقال له صدر بعنوان : هل تملك إسرائيل سلاحاً ذرياً ؟ ، وذلك في سنة ١٩٦٥ ، أى قبل النكسة بعامين ! ولم يكن يتوقع أن تكون تلك

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

الهزيمة على هذه الدرجة من القسوة والشدة . ولم يكن ممن يستسلمون للإحباط أو فقدان الثقة ، بل عكف رغم جراحه على إنجاز «شخصية مصر» دراسة في عبقرية المكان ، وحاول في هذا الكتاب أن يعرف المواطن العادى والمثقف العام بجوهر وطنه ، ويدله على شخصيتها المصرية والعربية ، ويحدد له معندها القومى الأصيل ، ودورها الإنسانى والحضارى . ودفع بهذا الكتاب إلى «دار الهلال» ، التى تلقته وأصدرته فورا فى سلسلة كتبها الشهيرة «كتاب الهلال» ، فى شهر يوليه ١٩٦٧ . وكان مع صغر حجمه يلsuma شافيا للمثقفين والمواطنين العاديين الذين كانت الهزيمة قد حطمت معنوياتهم ، فانعدمت الثقة وتعذر الرؤية . . .

وقال فى مقدمة هذا الكتاب : إننا فى المرحلة الحالية من تطورنا فى حاجة ماسة إلى فهم كامل لوجهنا ووجهتنا ، لكياننا ومكاننا ، لا مكانياتنا وملكياتنا ، ولكن أيضا ل دقائقنا ، و دقائقنا ، كل أولئك بلا تحرج ولا تحيز ولا هروب ، فليس هذا دفاعا عن مصر ، ولا هو محاولة شوفينية للتمجيد ، وإنما هو تشريح علمي موضوعى يقرن

المحاسن بالأضداد على حد سواء ، ويشخص نقاط القوة والضعف  
سواء بسواء ، وبغير هذا لا يكون النقد الذاتي . وقد لا يرضى هذا  
السطحيين والدعاة . . . .

ثم أصدر بعد ذلك طبعة منقحة ومزيدة لهذا الكتاب ، جاءت في  
نحو ألف صفحة . وقد انتشر هذا الكتاب وتلقفته الأيدي ، وتهاافت عليه  
الناس .

ويحضرني في هذا المقام أننى في يوم من الأيام التقى بصديقى  
وزميلى المرحوم الدكتور محمد عبد الحليم محمود نجل الشيخ الأكبر  
الدكتور عبد الحليم محمود ، وأخذ يتحدث معى بشأن هذا الكتاب ، وأن  
وزير الخارجية الدكتور محمود فوزى قد كلفه . بوصفه أحد أعضاء  
مكتبه . بقراءة هذا الكتاب (أى شخصية مصر) وعمل ملخص بأهم ما  
ورد فيه من آراء وأفكار ! فقلت في نفسي : عمار يا مصر طالما  
فيك رجال من أمثال الدكتور محمود فوزى !  
وحدثنى جمال بعد صدور شخصية مصر في طبعته الأولى ، أنه  
ينوى أن يكون هذا الكتاب هو الأول في سلسلة تتناول شخصية كل بلد

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

من البلدان العربية ! فقد كان « عروبي »، النزعة ، يؤمن إلى أقصى حد بعروبة مصر ، ويدورها في العالم العربي . وكان يطبق هذا عملياً على نفسه بتوثيق علاقاته بالأشقاء العرب الذين كانوا يدرسون معه أو درسوا على يديه ، وكانت له مجموعة من الأصدقاء من السودان وليبيا وسوريا والعراق وغيرها من البلدان العربية ، لا أذكر الآن سوى اسم الأديب العراقي الدكتور شاكر حضنباك ، والروائي السوداني الكبير الطيب صالح .

وتالت مؤلفاته بعد ذلك ، فأصدر منها :

- اليهود انثروبولوجيا . . . ( ١٩٦٧ ) ٤

- استراتيجية الاستعمار والتحرير ( ١٩٦٨ ) ٤

وأعاد نشر هذا الكتاب في طبعة مطولة سنة ١٩٨٣ ، أكد في مقدمتها على حاجتنا الحقيقة والملمحة إلى دراسة كاملة ومتکاملة ، أصولية منظمة ، ل التاريخ الاستعماري في العالم من ناحية ، ول التاريخ الصراع الاستراتيجي من ناحية أخرى . ولذلك جاء هذا الكتاب بمثابة دراسة في الجغرافيا السياسية بجانبها التاريخي والمعاصر ، حاول فيها تتبع مورفو لوجية التاريخ داخل إطار أو إطار واضح التحديد من

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

مورفولوجية الجغرافيا . وأورد فيه حركات بناء الامبراطوريات والتلوّع الاستعماري عبر العصور ، عصراً بعد عصر ، مع تحليل دوافعها ومحركاتها ، مع محاولة استشفاف واستنتاج دروسها الجيوستراتيجية الأكثر خلوداً وبقاءً .

وجاء كتابه « العالم الاسلامي المعاصر » ، الذي أصدره في عام ١٩٧١ ، تحقيقاً لرغبة دفينة في نفسه ، فقد أراد بهذه الدراسة التدليل على أن للدين مكانه المقرر في الدراسات الجغرافية ، الإقليمية للعالم الإسلامي ، ولكن المقصود - بالتعريف - هو دراسة الإسلام في ذاته من حيث هو ظاهرة في المكان له توزيعه وامتداده الجغرافي الخاص في الالandscape ، وعلاقاته الإيكولوجية معه ، من حيث هو عامل مؤثر في إقليمه ، وفي تشكيل تاريخه ، وحياة سكانه ، وتكوين أو تلوين وجه النشاط البشري أو العلاقات الاجتماعية فيه ، بما في ذلك وعلى الأخص الجوانب السياسة الداخلية ، وتوجيهه السياسة الخارجية والمشاكل الدولية . . . الخ . وضم الكتاب أربعة فصول هي :

#### ١ - من جغرافية الإسلام

٢ - نظرة عامة في مورفولوجية العالم الإسلامي

٣ - خريطة الإسلام السياسية

٤ - نظرية الوحدة الإسلامية .

وطلب منه صديقه العزيز المرحوم الأديب الكبير يحيى حقى أن يكتب مقدمة لترجمته لكتاب ، القاهرة ، تأليف ديزموند ستيفارت .  
فكتب له جمال مقدمة استوعبت نصف الكتاب تقريباً و جاء فيها أن القاهرة هي أم المدن جميراً إذا ما حصر المرء العاصم المختصرة العريقة في الدنيا ، وأنه ما من عاصمة في دولتها ما للقاهرة من نقل ومركزية طاغية وسيطرة وتوجيه ، وخلص إلى أن القاهرة إذن : « تاريخ مفعم مجد أو محفوظ ، كل حجر فيها مشبع بع禄 الماضي وعرقه ، وكل شبر منها يحمل بصمات الإنسان . . . . . »

وأصدر في عام ١٩٧٣ ، كتابه ، بين أوروبا وأسيا ، وكتابه ، الجمهورية العربية الليبية ، . وفي أعقاب انتصارات حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، أصدر كتابه ٦٠ : أكتوبر في الاستراتيجية العالمية ، ، حل فيه هذا الانتصار وأشاد به . وصدر كتابه عن ، قناة السويس ، في سنة ١٩٧٥ .

وفي كتابه الذي أصدر في ١٩٨٤ بعنوان : « من خريطة الزراعة المصرية » ، نادى بضرورة العودة إلى الزراعة في مصر ، أو بالأصل عودة الزراعة إلى الأولوية والصدارة ، مؤكداً أن هذه العودة بانت ضرورة أمن وبقاء ، مثلاً ما هي مصل مضاد لاختلال الجسم بين التوجه الصناعي والتوجه الزراعي ، وبين الإنتاج والسكان ، وذلك في عالم انفجر فيه المد السكاني الغامر ، بل الطوفان البشري الكاسح ، إلى آفاق غير مسبوقة ولا ملحوقه على حد قوله في مقدمته ، وبعد أن اختل فيه التوازن أيضاً بين الصناعة والزراعة ، أو بين الإنتاج غير العضوي والعضوى حتى بات يشكُّ من التخمة في المصنوعات ومن المعاقة في الغذاء . وخلص من ذلك إلى أن العودة إلى الزراعة هي العودة إلى الطبيعة ، وبهذه الصفة فإن الزراعة لم تعد حرفة تنتهي إلى الماضي بقدر ما تمنت إلى المستقبل ، لا سيما في مصر المتخصمة سكانياً ، المأزومة اقتصادياً ، والمتباعدة باطراد عن الكفاية الذاتية غذائياً .

ورسم جمال في هذا الكتاب خريطة الزراعة المصرية كما هي فعلاً دون ما تشخيص أو تقييم أو تقويم ، أي مجرد تحسس لواقع تضاريسها ككل حتى نابض .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

ورغم هذه الأعمال الفدّة والمؤلفات الجليلة ، كان يعمل بصبر وأناة في إخراج موسوعة أو ملحمته الكبرى - كما كان يحلوله ان يسميها - «شخصية مصر» التي صدرت في أربعة أجزاء على مدى عشر سنوات ووصل مجموع عدد صفحاتها إلى نحو أربعة آلاف صفحة .

وقد تناول هذا الكتاب كل ركن من أركان مصر ، وكل صغيرة وكبيرة فيها ، ولم يترك شاردة ولا واردة إلا وتناولها بالبحث العميق فجاء جاماً ما نعا ، وفاق بذلك كل عمليات المسح ، وكل البحوث التي كتبها علماء الحملة الفرنسية والتي صدرت في كتابهم الشهير : «وصف مصر» .

وأنيح لكتاب «شخصية مصر» أن يحظى بشهرة لم يحظ بها أى كتاب آخر من كتبه العديدة التي تناولت موضوعات على جانب كبير من الأهمية والخطورة . وظفر هذا الكتاب باهتمام النقاد ، وأصبح اسم جمال لا يذكر إلا وهو مقرون باسم «صاحب شخصية مصر» . وفي ذلك يقول جمال : إن شخصية مصر استقطبت أكبر عدد من القراء المصريين لأن الموضوع يخص بلدتهم ، ولقد كان من الغريب أن تعيش مصر بدون أن ترى نفسها في مرآة علمية ! وقال في

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

مناسبة أخرى : إن كتابي شخصية مصر هو من أحب الكتب إلى نفسي وأقربها إلى ، فهو موضوع وطني وقومي ، وقد استغرق ملى نحو عشر سنوات من عمري ، وعدد صفحاته أيضاً أكثر من أربعة آلاف صفحة ، وهو ما يعادل كل ما كتبته في حياتي !

وعدما صدر الجزء الثاني من هذه الموسوعة ، كتب الأستاذ رجاء النقاش يقول : جاء كتاب شخصية مصر عملاً شاملاً ، سوف يحتاج القراء والباحثون إلى وقت طويل لقراءته واستيعابه والتعليق عليه ، والاتفاق معه أو الاختلاف حوله ، ولكن الكتاب في جميع الأحوال هو عمل فكري وأدبي بالغ الروعة والفخامة والأصالة ، وسوف يعيش الكتاب جيلاً بعد جيل ، ويصبح من الآثار الكبرى التي لا تزيدتها الأيام والقرون إلا نضاراة وقوة ، وسوف يقال دائماً: إن هذا الكتاب واحد من أعظم الكتب التي ظهرت في الفكر العربي في القرن العشرين .

وكان في كل مؤلفاته يتحرى الموضوعية والحياد العلمي ، كل ذلك بمنهجية صارمة لا تتجاوز ولا تتحيز ، وبأسلوب أدبي رفيع . فقد كان بالإضافة إلى علمه الغزير وثقافته الواسعة ، يمتلك ناصية اللغة العربية بأقتدار يحسده عليه فقهاء اللغة وشيوخها . ولا أنسى ما قاله لي في هذا الصدد صديقي وأخي الكريم الكاتب الروائي الكبير الأستاذ بهاء طاهر من أنه قد تعلم من جمال حمدان ومن أسلوبه في الكتابة ما أعاذه كثيراً

في حياته العلمية ! وفضلاً عن أنه لم يكن ينسب إلى نفسه أى آراء ليست له ، فقد اتضحت أمانته العلمية بإثباته في الحواشى كل المراجع التي اطلع عليها أو اقتبس منها . وهو من العلماء القلائل الذين لم تكن اقتباساتهم عن الكتب الأخرى مجرد نقل ، بل جاءت هذه الاقتباسات جزءاً لا يتجزأ من الموضوع الذي يعالج .

وقد اخترنا أن نورد هنا ما خلص إليه صاحب شخصية مصر من استنتاجات خاصة ، بالسد العالي ، بعد أن درس هذا الموضوع من كل جوانبه وحل مشاكله ، فكتب يقول في الجزء الثاني من هذه الموسوعة ، وتحت عنوان «السد العالي في الميزان» :

طبيعي أن يكون السد العالي ، كأى مشروع من نوعه وحجمه ، موضوع جدل وخلاف منذ نشأته بل من قبل إنشائه ومن بعده . على أن الملاحظ أن معظم ما قيل ويقال عنه يتطرف عادة إما نحو التهويل وإما نحو التهويل ، إيجاباً وسلباً . ومن هنا ففى مقابل النظرية ، المسرفة بالتأكيد ، القائلة بأنه هو الحل الشافى والرد المطلق على مشكلات الزراعة والصناعة والحياة المصرية ، كان هناك رأى متطرف يرفضه من حيث المبدأ ومن البداية . الواقع أنه قبل بناء السد كانت هناك

مدرسة من هدسة الري في مصر ترى أن أي محاولة للتحكم في كل مياه النيل إلى آخر قطرة إنما هي محاولة ضد الطبيعة ، طبيعة الأنهر ، وأنها تتطوى على كارثة تامة .

أما بعد أن أصبح السد حقيقة واقعة فإن هناك ، ما زال ، من يتساءل عما إذا كانت مصر قد أصابت أم أخطأت في بنائه . بل لقد تعرض السد في السنوات الأخيرة إلى حملة محمومة شكت حتى في سلامه بنائه فنياً ، بينما صورت نتائجه على أنه « كارثة على مصر » ونعته « بكارثة أسوان » غير أنها ينبغي أن نتذكر أن هذه الحملة الضاربة إنما بدأتها عناصر معادية لمصر ، وعناصر صهيونية بصفة أساسية .

هذا في الخارج . أما في الداخل فقد تصاعدت الحملة إلى أن وصلت حرفياً إلى حد الصيحة الوندالية « اهدموا السد ! » . غير أن دوافع هذه الحملة هي الأخرى كانت سياسية سافرة . ومن ثم لا محل لها من العلم .

على أن الخلاف داخل دائرة العلم لا يقل للأسف حدة وتطرفاً ،

ما يضع المواطن العادى غير المختص فى حيرة بالغة . فعلى الجانب السالب . يذهب رأى إلى أن ، ما حققه السد العالى لنا من مزايا لا يعد شيئاً بجانب ما جره وما سوف يجره علينا من مصائب ، . بل إن الأمر ليتعدى حساب المزايا والمضار إلى ، صناعة مصر كلها ، وأن المعركة ضد السد العالى بانت ، معركة مصير ، وعلى النقيض من هذا تماماً انتهى البعض الآخر إلى أنه ، قد لا يوجد مشروع سابق لمشروع ، السد العالى عاد بهذا القدر من الفائدة على هذا القدر من البشر . . . وجدير بمن يقللون من قدر هذا المشروع أن ينظروا إليه من الجانب الصحيح من المنظار بعد وضعه فى البورة الصحيحة ، . أو فى قول آخر أن «السد العالى» يعد أكبر إنجاز فى تاريخ الشعب المصرى رغم الأقاويل والادعاءات ، . وبين هذه المواقف المتناقضة تماماً ، نستطيع علمياً و موضوعياً أن نلخص النقد الموجه إلى السد فى النقطة الست الآتية التى أسمتها التحفظات الستة .

أولاً ، أنه إن لم يكن مشروعاً سياسياً بقدر ما هو مشروع هندسى ، فإن السياسة قد تدخلت وتدخلت فيه إلى حد بعيد على الأقل ، سواء

على المستوى الوطني القومي في العالم العربي أو على المستوى الإقليمي النهري في حوض النيل أو على مستوى الصراع الدولي في العالم بين الكتلتين ، بحيث أصبح مزيجاً معتقداً من رمز الاستقلال الوطني والأمن المائي والقوة السياسية . وفي النتيجة اختلطت في المشروع دوافع المجد القومي مع الجدوى المادية . وفي النهاية تغلب فيه رأى الأتوورقراط على رأى التكنوقراط ، فقدم الأخير البدائل فقط بينما قرر الأول الأولويات .

ومن هنا أيضاً يشعر البعض أنه قرر وخطط في عجلة ، نحو ٥ سنين فقط مقابل عشرات لمشاريع مماثلة أو أقل . كذلك يشعر البعض بأنه تم في ظل سباق عنيف وصراع خفي ليس فقط في مناخ الحرب الباردة ولكن أيضاً مع الادعاءات والمطالب والتحديات المائية لآخرين أشقاء وغير أشقاء في حوض النيل واستباقاً لخطفهم في فرض الأمر الواقع على مصر هيكلولوجيا وقطعاً للطريق عليهم لقطع طريق الماء عليها . فمثلاً كان السودان يعتزم تنفيذ مشروعات مائية من شأنها خفض إيراد النيل في مصر .

ثانياً ، السد فيما يرى هو لاء القادة لم يكن له داع أو مبرر ، وله بدائل عديدة ، وبذاته أفضل منه وأجدى . فإذا كان شرط الموقع الوطنى ضرورة مسلما بها من الجميع بما يستبعد مشاريع منابع الدين العليا كما اقترحها ميرودك مكدونالد ، فقد كان هنالك اقتراح لمكدونالد أيضا بتعلية خزان أسوان تعلية ثالثة يمكن أن ترفع طاقته التخزنية إلى ١٠ مليارات أى أكثر مما أضاف السد العالى إلى حصة مصر السنوية وهى ٧,٥ مليار . فain قيل إن التعلية خطيرة ، فقد كان من الممكن إقامة خزان ذى فتحات وعيون على غرار خزان أسوان نفسه ولكن فى موقع السد العالى ذاته ، بأبعاد أضعاف الأولى ويأriاح أضعاف أرياح الثانى ، وبذلك يأخذ من كليهما محاسنه ومزاياه دون أضداده ومثالبه .

غير أن من الضروري هنا أن نضيف أن هذه الاعتراضات قابلة بدورها هي الأخرى للجدل والنقاش . فقد تحققت لجان دولية من الخبراء الهيدرولوجيين وكذلك الاقتصاديين من أن السد العالى هندسياً واقتصادياً كان أفضل البدائل المتاحة أمام مصر ، كما أثبتت السد نفسه بعد بنائه خطأً كثير من الاعتراضات عليه سواء هندسياً أو هيدرولوجياً .

ثالثاً ، من الناحية العملية البعثة ومن حيث المحسنة المائية الصافية ، فإن السد على عكس ما صور داعيائياً محدود عطاوه بدرجة لا تتناسب مع أبعاده وضخامته الهائلة وتكتاليفه الباهظة ولا مع المشاكل والأخطار والملابسات التي اختلفت في الماضى والحاضر والمستقبل فضلاً بالطبع عن الصنجة والدعایة الداوية التي صاحبته . فلولهله الأولى ، يبدو السد بسعته الخرافية حصيلة تتعذر أعراض أحلام المهندسى الرى التقليدية ، مقيسة مثلاً بمستويات خزان أسوان والأوليات المتواضعة . على أن من الإنفاق والموضوعية بل الأمانة العلمية حين نقارن بين الطاقة المائية لكل من الخزان والسد أن نتذكر بالدققة الفارق بين التخزين السنوى والمستمر . فالأول إنما يمثل دخلاً متعدداً ، حيث الثاني رأس المال تراكمى . أما أن يقال وحسب إن السد العالى يحقق ١٥٧ ملياراً مقابل ٥ مليارات فقط لخزان أسوان ، فمقارنة خاطئة مثلاً يمكن أن تكون مضللة أو مغرضة .

فإذا كان الخزان يوفر ٥ مليارات سنوياً ، فإن إضافة السد العالى السنوية إلى مائة مصر ٧,٥ مليار فقط . أى ما يعادل مساهمة الخزان

مرة ونصف مرة لا أكثر ، أو مجموع ما كان يوفره خزان أسوان وخران جبل الأولياء معاً . وتلك هي الأبعاد الحقيقة والواقعية لوزن السد ودوره مائياً . ولعل هذه النقطة بالذات لم تبرز للرأي العام بما فيه الكفاية ، إن لم تكن قد حجبت عنه عمداً . وفي هذا يقول وبين أوبين ، لعلها هي صنخامة وأهمية تلك المشاريع السابقة ( خزان أسوان والأولياء ) التي تستحق الأكثر أن تؤكّد في المقارنة ، . وعلى أية حال ، فإن عطاء السد من الطاقة والكهرباء قد يفوق عطاءه من الماء نفسه . وحتى من ناحية الماء ، فإن عطاءه للسودان صنف عطاءه لمصر . أى أنه جاء لمصلحة السودان ولحسابه أكثر منه لمصلحة مصر أو لحسابها .

رابعاً ، من الناحية العملية والعلمية معاً ، فإن السد يثير من المشاكل أكثر مما يحل أو قدرها ، وحتى هذه الحلول ليست بالمتالية الكاملة ، بل إنه ليكاد يهزم أغراضه بنفسه . فعدا مشكلة النهر الخطيرة ومشكلة الصرف الباهظة وسائر الآثار الجانبية العديدة ، فإنه لا يحقق هدف الوفرة المائية ولا الأمان تماماً . فلدن كان السد يوفر الحماية ضد

الفيضان الضعيف ، فقد اتضح أنه لا يوفر الحماية ضد الفيضان العالى المتتابع إلا جزئياً . ولكن كان قد حاز الأفضلية على مشاريع البحيرات الاستوائية فى أعلى النيل لأنها لا تعطينا إلا المياه الرائقة دون مياه الحبشه الغرينية ، قدرأ معيناً من مليارات الأمتار المكعبه ، فإنه بحاشاش المجارى التي نشرها على امتداد مصر قد بدد نحو نصف هذا القدر إلا قليلاً .

وليس رداً يستطرد النقاد أصحاب هذا الرأى – أن يقال : إن الآثار الجانبية للسد متوقعة محسوبة وعلاجها معروف أو قيد البحث أو التنفيذ . فأنت بذلك إنما تعالج خطأ أكبر بسلسلة لا نهاية لها من الأخطاء الأصغر ، أى بسياسة الترقيع الجزئي المستمر . وحتى عند ذلك ، فإن هذا كله يمثل إنفاقات وتكاليف متزايدة تسحب في النهاية من مزايا وفوائد ووفرات السد نفسه ، بحيث تتضاعف اقتصاديته باطراد . فمثلاً إذا كان المشروع أصلاً قد تكلف بعض مئات من الملايين من الجنيهات ، فيكفى أن نذكر أن مشاريع الصرف المرصودة حالياً تجرى في بضعة بلايين من الجنيهات . أى نحو عشرة أمثالها .

خامساً ، واتصالاً بالنقطة السابقة . يلاحظ البعض أن السد العالى بكل ما يعنى ويمثل لم يكن له على الزراعة المصرية حتى الآن مثل ذلك الأثر الدرامى الهائل الذى كان لخزانى أسوان والأوليات رغم أن صافى ما يوفره سنوياً يعادل مجموع ما كان يوفرانه . وفي هذا يتساءل وبين أوبين ، لم لا يبلغى أن يكون لسبعة ونصف مليارات مكعبه ثانية من موارد المياه ، الفصلية ، - أى الصيفية . أثر على نمط استغلال الأرض يعادل أثر الأولى على الأقل فى صناعته ؟ . ولا شك أن المفترض أن يثور السد العالى الزراعة المصرية تثويراً وكما لم يثورها أى مشروع سابق للرى الدائم . وهذاك إجماع عام على أن ثورة زراعية جذرية ما لم تواكب ثورة الرى المتمثلة فى السد . غير أن السد نفسه قد لا يكون مسؤولاً عن ذلك ، وإنما هو قصور الزراعية ذاتها وتخلفها . وعلى أية حال فعل هذه الثورة المرتقبة مسألة وقت فقط .

سادساً ، وأخيراً ولكن ليس بالتأكيد ، فإن السد يمثل مخاطرة كبرى تصل إلى حد المغامرة ، إن لم يقل البعض المقامرة . والإشارة هنا بالطبع إلى احتمالاته المستقبلية الغامضة وكل ما يجاوز به من تغيير

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

مجهول النتائج والمدى في طبيعة الدهر والوادي ويتعلق بتصميم الوجود الطبيعي لمصر ذاته . ولكن يرد أنصار السد على هذا باللفى . فعدهم أن ، الآثار الجانبية ، للسد إن هي إلا ، كظل العمارة ، ولا خطر على مصر أرضنا ووادياً ونهرأ ونهرأ .. الخ . الدليل على ذلك في دفهم أن الواقع قد كذب تباعاً كل توقعات ونبؤات المشككين القائمة فضلاً عن مبالغاتهم المسرفة .

فهؤلاء مثلاً قدروا في ١٩٥٦ قبل إنشاء السد أن البحر الشامل سيصل إلى ٥٤ متراً في قاع المجرى ، وذلك على أربع دفعات بمتوسط ١٤ متراً كل دفعه ، وأن معظم هذا البحر سوف يحدث في العامين الأوليين من بناء السد . فلما بدأ إنشاء السد ومحنت سنوات دون أن تتحقق هذه النبوءات ، عادوا فقالوا : إن القاع سوف يلخصن إلى عمق مترين بعد ٥ سنوات من التشغيل وإلى ٣ أمتار بعد ١٠ سنوات . فلما لم يحدث هذا أيضاً ، عادوا في ١٩٧٦ فقالوا : إن ٨٣ % من البحر الشامل سوف يتم بعد ١٧ سنة من بدء التشغيل أى في ١٩٨٥ ، وأن عمق الدهر بين إسنا ونبع حمادى سيصل إلى ٦٦٥ متراً ، وخلف قنطر نبع

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

---

حمدان سيكون ٤٠ متر ، وخلف قنطرة أسيوط ٤٦ متر . غير أن الذى حدث بالفعل أن معدلات البحر السلوية لم تتجاوز حالياً ٢٢ سم بين أسوان وإسنا ، ٣ سم بين إسنا ونبع حمادى ، ٢٥ سم بين نبع حمادى وأسيوط ، ٤٠ سم بين أسيوط والقاهرة وهذا كله وغيره ما يؤكّد سلامة مستقبل الوادي طبيعياً .

إذاء هذا الرد ، يعود البعض فيثير على رأس الأخطار الكامنة والمستقبلة قضيتيين تضريران في صميم الأمان القومي المصري ، إن لم يكن الوجود القومي المصري ذاته . فأولاً ، هناك التهديد بالدمار الذي ستعيش مصر تحت رحمته إلى أجل غير مسمى . فبحيرة ناصر - ١٢٠ مليار متر مكعب على الأقل . ككتلة مائية جبارة تستقر في أقصى جنوب مصر وعلى أعلى ارتفاعها أي على كتفها أو رقبتها أو رأسها هي ، أشبه ما يمكن بقبضة ذرية معلقة فوق رأسها قد تنفجر في أي لحظة ، إذ لو حدث ما يؤدى إلى انسياب المياه بلا رابط من البحيرة ، فإن التخريب الذي تحدثه في مصر سيكون أضعاف أضعاف ما أحدهته قبلة هيروشima ، وفي هذا المضمار ، فقد أثبتت الأبحاث أن منطقة

البحيرة قد أخذت تتعرض للزلزال الموضعية نتيجة لقل كتلها المائية  
الهائلة .

إلى جانب هذا الخطر الطبيعي الباطل أو الأرضي ، هناك خطر  
ضرب السد بالفجابل من الجو في الحروب . وليس سراً أن هذا التفكير قد  
خامر أذهان العدو الإسرائيلي في وقت ما في السنوات السابقة . ومهما  
كثفتنا من حلقات الدفاع الجوي الفائق التطور حول السد . فإنه لا يستبعد  
الخطر تماماً . وما له مغزاه أن الخبراء السوفيت الذين تولوا بناء السد  
نصحوا مصر بتفريغ بحيرة ناصر بمعدل ٦٠٠ مليون متر مكعب في  
اليوم لتصفيتها بسرعة في حالة الحرب أو التهديد بها ، رغم أن هذا  
المعدل جدير بأن يخرب الوادي والمنجني كله شمال السد .

والخلاصة الصافية أن السد العالي وإن كان قد تحاشى الموقع  
خارج الحدود وحقق شرط الموقع الوطني ضماناً للأمن القومي سياسياً ،  
فإنه لم يفلت من أحطر الأخطار القومي لا طبيعياً ولا عسكرياً .

ثانياً ، هناك السؤال المؤجل عادة . لأنه بعيد الأمد نسبياً ، وهو :  
وماذا بعد السد العالي ؟ ماذا بعد أن تمتلك مصر بحيرة ناصر إلى قمتهما

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

---

بالطمئن وتحول إلى دلتا مرئية بارزة بعد ٥٠٠ سنة كالمقدر ؟ ثمة احتمالان لا ثالث لهما : إما أن يشق النيلجرى جديداً له إلى البحر المتوسط عن طريق الصحراء الغربية ، أى شيء كتحقيق مخيف مروع لنهر بلانكلهورن الجيولوجي الافتراضي « النيل الليبي » الغابر ، وإما أن يقتحم الوادى ليحتله من جديد حيث لن يكون له مكان في نظام الحياة القائم فيه حينذاك .

وفي معرض دراسته التي أوردها في نفس هذا الجزء من موسوعته ، والتي تناول فيها موضوع « قناة السويس » في السياسة والاستراتيجية ، تحدث عن نتائجها وأثارها ، فقال :

أما عن نتائج القناة الاقتصادية ، فمن السهل أن نقول إن أوروبا الغربية تدين للقناة بالجزء الأكبر من طفرتها الصناعية والحضارية الحديثة حتى وصلت إلى درجة التشبع وما فوق التشبع . over - industrialization والمداريات ووضعيتها عدد أطراف أصابعهما بأرخص التكاليف والأسعار . وهي التي قدمت لها الخامات والأسواق في عصر الفحم في القرن

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

النinth عشر ، وهى الآن التى تقدم لها الوقود مع الخامات مع الأسواق  
جميعا فى عصر البترول فى القرن العشرين . هكذا إن لم يكن الغرب  
يدين لقناة بثورته الصناعية الأولى ، فإنه بلا ريب يدين لها بثورته  
الصناعية الثانية . وإن لم يكن يدين بأى منها لها فى البداية ، فهو  
بكل تأكيد يدين لها بتعديمهما فى النهاية .

بل لقد يقال ، أكثر من هذا ، إن القناة مسؤولة عن مساعدة الغرب  
على نزح ثروات مستعمرات الخام ووأد فرص التصنيع بها . غير أن  
مصر نفسها - ودعك من فضليها المجنوح - كانت صحيحة مماثلة . فلقد  
ظلت القناة معزولة عن الاقتصاد المصرى لاتساهم فيه الا رمزاً ذلك  
لأن مصر لم تكن تملك القناة وظلت مجرد « متفرجة » لا مستمرة .  
فمثلاً بلغ دخل القناة فى ١٩٥٥ نحو ٣٥ مليون جنيه . كان  
نصيب مصر منها مليون جنيه فقط . أى ٣٪ تقريباً . هذا بينما عاد  
الاستعمار ، وخاصة بريطانيا التى ورثت من قبل موقع مصر الجغرافى  
فى الوسيط ، ليسرق موقعها الحديث .

ولكن منذ ، الاسترداد ، ولأول مرة منذ حفر القناة تحققت تلك

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

العلاقة المسلوبة ، ولم يعد شك فى خطورة دور الموقع فى البناء الاقتصادى المصرى . فمنذ التأمين ، وقبل الإغلاق ، ودخل القناة الخالص يقفز بانتظام ، فكان يطفر بمعدل ١٠ ملايين جنيه فى بعض سنين ، حتى كانت تصبح فى الاقتصاد القومى ٩٥ مليون جنيه سنة ١٩٦٦ - عملاً صعباً خالصة . فإذا علمنا أن محصول القطن لم يكن يغل أكثر من ذلك كثيراً جداً ، أدركنا أن هاهنا فى الموقع ثروة قومية ثانية ومحصولاً وطنياً أساسياً .

وإذا علمنا بعد ذلك أن هذه الحصيلة كانت توجه وجهه بناءً هى السد - وقد أشرنا من قبل إلى العلاقة الأساسية بين عملية القناة وعملية السد ، سياسياً ، واستراتيجياً ، تأمراً استعمارياً ونصالاً وطنياً . أدركنا أننا بهذا كنا نوظف القناة على الدليل ونستثمر الموقع ، الذى هو بطبيعته عنصر خارجى لا يمكن التحكم فيه تماماً ، فى الموضع الذى نملكه مباشرةً . ونحن بهذا لم نكن نكشف اقتصاد الوادى فقط وإنما كنا نعمق أساسه أيضاً . وبهذا أيضاً فإذا كان الموضع - الوادى - قد حقق الموقع - القناة - بعماله ومائه وسكنائه ، فقد بدأ الموقع الآن يرد دينه إلى الموضع .

### تطور قناة التأمين

الإيراد بالمليون جنيه	الحمولة الصافية بالطن	عدد السفن والناقلات	السنة
٥٠	١٨٥٣٢٢٠٠	١٨٧٣٤	١٩٦٠
٥٢	١٨٧٠٥٩٠٠	١٨١٤٨	١٩٦١
٥٤	١٩٧٨٣٧٠٠	١٨٥١٨	١٩٦٢
٧١	٢١٠٤٩٨٠٠	١٩١٤٦	١٩٦٣
٧٨	٢٢٧٩٩١٠٠	١٩٩٤٣	١٩٦٤
٨٦	٢٤٦٨١٧٠٠	٢٠٢٨٩	١٩٦٥
٩٥	٢٧٤٤٦٦٠٠	٢١٢٥٠	١٩٦٦

غير أن علينا بعد هذا أن ندرك تطور وظيفة القناة عبر تاريخها المفعم . فلقد بدأت القناة واستمرت طويلا كحلقة الوصل بين الغرب والشرق الأقصى ، ولكن بين بريطانيا والهند وخاصة . بيد أنها مذ الحرب العالمية الثانية تقريباً، ومع تفجر البتول في الشرق الأوسط ، أصبحت حلقة الوصل بين أوروبا الغربية بعامة وبين الشرق الأوسط وخاصة ، أكثر منها بين بريطانيا وخاصة وبين الشرق الأقصى بعامة .

وأهم من ذلك كما رأينا أن القناة تحولت من شريان الإمبراطورية التقليدي إلى دور شريان الزيت . فقد كانت حركة البترول في القناة تمثل تقليديا أكثر من ٧٠ % من مجموع الحمولة العابرة ، بينما كانت هي بدورها تتحكر نقل ٧٠ % على الأقل من بترول الشرق الأوسط المتحرك غربا .

وبطبيعة الحال فقد عكست القناة نفسها هذا التطور الجذري .  
فإلى ما قبل عصر البترول وأنه عصر الفحم ، كانت تجارة الشمال تتتألف أساسا من المنتوجات ولكن تكتمل بقدر معلوم من صادرات الفحم ، خاصة من بريطانيا ، فخامة العالم ، حينذاك ، وكان هذا الفحم يذهب إلى بلاد الجنوب لأغراض الصناعة والأغراض المنزلية وكوفود للسفن البخارية على طول الطريق البحري .

ولكن الطريق أن هذا النمط السلعي قد انقلب رأسا على عقب بعد البترول . فقد حل البترول من الجنوب محل الفحم من الشمال ، وبدلا من ذيل القائمة الذي كان الأخير يحتله ، احتل الأول الرأس بل أصبح هو في الحقيقة كل شيء في حركة القناة تقريباً وذلك على حساب

، البصائر الجافة ، ، بينما أصبحت القناة نفسها في الواقع قناة البترول في الدرجة الأولى حتى باتت العلاقة بينهما علاقة مصير عضوية كذلك التي بين مذابع النهر وروافده وبين فروعه ومصاببه . والحق أننا نستطيع بطريقة ما أن ننظر إلى تدفق البترول عبر القناة كتدفق نهر حقيقي ، نهر البترول ، نهر صحراء العرب الوحيد ، له ملبيه ومصببه ومجرى : المنبع الأساسي هو الخليج العربي . والمصب الأساسي هو أوروبا الغربية ، والجري الأساسي هو طريق السويس .

وهكذا أيضاً نشأ ، زواج اقتصادي ، وثيق بين بترول العرب وقناة العرب ، وكانت القناة بلا جدال أهم ممر عالمي استراتيجي لأهم سلعة استراتيجية في العالم وفي ظل هذه العلاقة العضوية الحاسمة والحتمية والمخصبة باتت تنمو مع البترول صدعاً في علاقة طردية موجبة ، حركة ودخلاء ، عمقاً واتساعاً ، لا سيما بعد معركة التأمين التي نقلت القناة إلى السيادة والملكية المصرية المطلقة فبدأت معها مشروعات التوسيع الطموح التي استهدفت مضاعفة طاقة القناة إلى أقصى حد ممكن .

ولقد جاءت حركة البترول المتتسارعة لتعطى القناة بطبيعة الحال دفعة عظيمة جديدة ، جددت شبابها مرة أخرى ، وجعلت منها لأول مرة مصدراً هاماً من مصادر الدخل القومي ، بحيث يمكن القول : إنها أصبحت بمثابة واد آخر مصغر أضيف إلى الوادي الأخضر . إن يكن الدليل ، بعبارة أخرى ، شريان مصر ، فقد أصبحت القناة وريدها . وبالتالي - نحن نخلص - فإن تكن القناة عنق مصر استراتيجياً ، فقد أصبحت كذلك حبل الوريد اقتصادياً . وتلك في مجلتها بلا زيادة ولا نقصان هي مكانة القناة ومكانتها في كيان مصر في السلم وفي الحرب .

ورغم تعاظم دور القناة ودخلها المطرد ، إلا أنه للأسف أخذ ينضاعل نسبياً إذا ما قورن بمجمل تدفق عائدات وأرباح بترول الخليج ، وذلك كليتيجة للتغير العلاقة بين القناة والخليج . وقد تزايد هذا الاتجاه مع الطفرة الهائلة ثم المذهلة في الوضع إلى أقصاه بعد حرب أكتوبر التي دفعت بأسعار البترول إلى آفاق لم تكن متصرفة فقط من قبل . ولم يعد هناك الآن تداسب أو مجال للمقارنة بين دخل القناة المحدود الذي لا يتعدى سقفه المليار وبعض المليار دولار مؤخراً ، وبين دخل بترول

الخليج بأرقامه الفلكية التي تدور الآن حول مذات البلايين من الدولارات .

أما موقع القناة التقليدي والراهن من الدورة الدموية للبترول في العالم بالتفصيل فتوضّحه مجموعة الحقائق والأرقام الآتية . في ١٩٧٣ بلغ إنتاج الشرق الأوسط حول الخليج أكثر من ٧٠٠ مليون طن تمثل نحو ٣٧ % من الإنتاج العالمي ، ونحو ٤٣ % من الصادر العالمي . أما عن استهلاك أوروبا الغربية من البترول ، الذي وصل في ١٩٧٠ إلى نحو ٥٩٠ مليون طن ، فإن حوالي ٣٥٠ مليون طن منها أى زهاء النصف (٤٦ %) أتى من الخليج العربي . أما عن القناة ، ففي آخر عام قبل إغلاقها ، أى في ١٩٦٦ ، كان ٩٥ % من البترول المنقول عبرها يأتي من الخليج العربي ، بينما ذهب ٩٢ % من بترول القناة إلى أوروبا الغربية وحدها ، والباقي إلى الولايات المتحدة وكندا ، وفي الوقت نفسه قدم البترول ٧٣ % من إيرادات القناة .

في أبسط صيغة تخطيطية إذن ، تتحدد استراتيجية الموضع الحاسم في جغرافية البترول في العالم القديم في مئتين أساسين ، واحد لإنتاج

والاستهلاك ، وأخر للاستهلاك والنقل . فالأول رؤسه الخليج العربي كقطب الاحتياطي والإنتاج والصادر ثم أوروبا الغربية من ناحية كقطب الاستهلاك الأساسي للبتروال الشرق الأوسط ، وأخيراً اليابان من الناحية كقطب الاستهلاك الثاني . أما المثلث الآخر فرؤسه قادة السويس كمركز النقل الأول . ثم أوروبا فالليابان . فإذا جمعنا المثلثين معاً فإنهما يندغمان في شكل معين أو شبه منحرف تقريباً أطرافه هي رياضية اليابان - الخليج - القناة - أوروبا الغربية . وتلك هي الدائرة الكهربائية الأساسية لحركة البتروال في نصف الكرة الشرقي .

بهذا الهيكل الأساسي في الذهن . يمكننا الآن أن نفهم كل التطورات التي تعرضت لها القناة في السنوات الأخيرة وعلاقة التناقض أو التوازن المحيطة بها . فالقناة طريق ، وكل طريق فهو موقع ، وكل موقع فهو نسبي ، وكل نسبي فهو متغير . وذلك بالدقة صميم الموقف ومفتعله . وكل طريق جغرافي جديد أو بديل . وكل وسيلة تكنولوجية جديدة لنقل البتروال ، وكل تغيير في توزيع حقول إنتاج أو سوق استهلاك البتروال ، فضلاً عن كل بديل مستحدث للبتروال نفسه ، أو بعبارة شاملة كل تغيير في جغرافية النقل والإنتاج

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامع من عصرية الزمان

والاستهلاك ، يعد بمثابة متغيرات تتعكس آثارها مباشرة على القناة إن سلباً أو إيجاباً . وتعيد تقييمها إلى حد أو آخر ، بل ويمكن نظرياً أن تنتهي إلى عملية أسر نقلٍ خطيرة . وعلى هذا الأساس يمكننا أن نحصر التحديات الرئيسية التي تواجه القناة في ثلاثة : متغيرات البترول . الأنابيب ، الناقلات العملاقة .

وقد تناول أساتذة الجامعات العربية والأوروبية ومراكز البحوث التابعة لها ، هذه المؤلفات بالدراسة المعمقة والتحليل العلمي ، وهو ما حدث في جامعة الجزائر، وجامعة ماكجيل في كندا ، وجامعة فرايبورج في ألمانيا ، ونشرت ابحاثهم ومقالاتهم بالمجلات والدوريات العلمية .

لم يكن أخى يحتفى بالجوائز أو الأوسمة رغم أنها كانت تأتى إليه تجرجر أذىالها ، دون أن يسعى إليها أو يتلذث بها .  
وأذكر أنى كدت فى مساء يوم من أيام شهر يونيو فى مكتبى بجريدة « الجمهورية » ، فإذا بالسيدة الفاضلة الأستاذة نفيسة الصريطى ، التى كانت تعمل محررة بها ، والتى كان والدها زميلاً للوالد فى المملكة العربية السعودية ، تقول لي : مبروك لقد حصل دكتور جمال حمدان على جائزة الدولة التشجيعية ! فهرولت إلى جمال فى الدقى لأزف إليه النبأ السار . واستقبلنى بابتسامته المعهودة ، وقال لى بهدوء : لقد عملها الدكتور حزين ! ولما وصلته شهادة الجائزة أهدتها إلى العائلة ، وتم بروزتها ووضعها بغرفة الاستقبال . ومازالت حتى الآن !  
وحضرت إلى القاهرة فى صيف سنة ١٩٨٦ ، وكان جمال قد حصل على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية . ولما

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

قدمت له خالص التهنئة على هذا التقدير الذي صادف أهله ، قال لي  
والابتسامة لا تفارقه : لقد رفضتها يا عزيزى ، وأعدتها بخطاب إلى  
الراس !

والواقع أنه كان يرفض كل ما يأتي من أى جهة رسمية ! وكان  
قد أدى بعده أحاديث عن هذه الجائزة نشرت في حينه .

ومنحة أمير الكويت في نفس العام ، أى عام ١٩٨٦ ،  
جائزة للنقد العلمي ، وقدرها أحد عشر ألف دولار أمريكا ، فقبلها من  
المبعوث الكويتي الذي زاره في بيته المتواضع ، وأخذت له بعض  
الصور التذكارية وهو يتسلّمها . وفي اليوم التالي أرسل قيمة هذه الجائزة  
إلى شقيق الأصغر اللواء عبد العظيم . وهو من أبطال حرب اكتوبر .  
لتوزيعها على شقيقانا وابنائهن ...

هذا وقد منحته الدولة وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة  
١٩٨٨ ، ولكنه لم يتسلّم ، وأرسل إليه مع مخصوص عند تشيع  
جنازته ... !

وكان أخي عدوا لدودا للصهيونية والاستعمار الأجنبي - أيا كان وجه هذا الاستعمار . وكان دائما يحذر من أن النفوذ الأجنبي أيا كان لونه ودينه ، والصهيونية ، والتمزق العربي ، وضعف العالم الإسلامي ، فقدان العدل الاجتماعي ، والطغيان السياسي ، هى ألد أعداء مصر . وقد تناولت أفكاره ووجهات نظره حول هذه الأمور في معظم كتاباته . وكانت قضية فلسطين هي قضيته الأولى وشغله الشاغل . وصرح بأن الكارثة التي تعرضت لها فلسطين على يد الصهيونية الإسرائيلية هي سابقة ليس لها مثيل فقط في تاريخ العالم الحديث ، ولا العالم الإسلامي ولا العالم الثالث . وكان يرى أن الخطر الصهيوني لا يستهدف الأرض المقدسة في فلسطين فحسب ، وأن تهديدها لا يقتصر على العالم العربي وحده ، وإنما يمتد إلى العالم الإسلامي أيضا وضمنا . وكان يندد بهذا وبما يحاك لنا في الخفاء والعلن ، ويقول : إن الصهيونيات اليوم هي أكبر خطر وتحد يواجه العالم العربي ، وأن تحرير فلسطين « هو » وحدة العالم الإسلامي السياسية ، وأن وحدة العالم الإسلامي إنما « هي » فلسطين !

وكان يؤمن بالعروبة ، ويعتقد أن القومية العربية - مخالفًا في ذلك

الأستاذ ساطع الحصري - نظرية نابعة من أرض الواقع بكل إيجابياته وسلبياته ... وعلى العرب أن يقوموا بتطويرها علمياً وعملياً لتواكب المتغيرات العربية والعالمية . وقد تبلور هذا الاتجاه وتجسد في مؤلفاته العديدة التي تناولت عالمنا العربي بالدراسة والتحليل . وكان يؤكد فيها على أن مركز نقلعروبة البشرى والسياسى والعسكرى يوجد فى مصر ، قلبعروبة النابض ، وأن الطبيعة زودتها وحبتها بكل الصفات التي ت Hutchinson عليها أن تقوم بدور الزعامة الذى لا يعتبر شريفاً أو تخليداً بل هو تكليف من الجغرافيا وتقليد من التاريخ ، وليس أبهة بل مسؤولية فادحة تفرضها الطبيعة ...

كان هو أول من تكلم عن احتمالات تفكك الاتحاد السوفيتى السابق ، وحذر من عواقبه وأثاره . كما حذر في كلامه عن مدينة القاهرة ، من الانفجار السكاني فيها ، وكان ذلك عام ١٩٦٩ ، عندما كان سكانها لا يزيدون على خمسة ملايين نسمة ١

لقد فتح أبواباً جديدة للمعرفة لم تطرق من قبل . وكان يوظف الجغرافيا لغایيات أسمى ، مازجاً بين فلسفتها وفلسفة التاريخ ، وبينها وبين علوم وفنون شتى لكي يصل إلى نوع جديد من المعرفة بأسلوب

مبتكر يخرج عن المفهوم التقليدي للجغرافيا ، وهى تخصصه الدقيق .  
ولم ينجح فى ذلك إلا بفضل عزلته التى استثمرها أحسن استثمار ،  
فأبدع وابتكر بشكل فرى وفريد فى آن واحد ! وكان رغم عزلته  
أكثر ادراكا و تفاعلا مع الواقع ومع الأحداث ، وأغزر انتاجا وأصدق  
قولا ! فقد كان حاد الملاحظة ، سريع الفهم ، نافذ الذكاء . وكان صارما  
في حياته كما كان صارما في منهجه العلمية ، لا يسمح بأى نوع من  
الانفلات أو التسيب . وكانت له قدرة خارقة على التحليل العميق وعلى  
التوليف السليم ، واستشراف المستقبل . وكان لا يبدي رأيا في موضوع  
إلا بعد دراسات مستفيضة والرجوع إلى مصادره ومظانه . وكان في  
كل ذلك ثابتا على مبدأ ، لا يتحول ولا يتغير . وكان يتحلى بصفات  
هامة هي التي تجعل من المثقف مثقفا على أرفع المستويات ، فقد كان  
دائما طلعة ، طالبا للحقيقة مهما كلفته ، طارحا للأسئلة ومحاولا العثور  
على إجابات لها . وكان لا يلبث يلح في البحث ، ويلح في السؤال إلى  
أن يعثر على بغيته ، فتنهال أسراريه وتعمره السعادة ...  
ورغم تواضعه الجم ، فإنه كان معتمدا بنفسه ويعلمه . حدث أن  
نظمت جريدة ، الأهرام ، القاهرة ندوة ل النقد ما كتبه عن الري

ومياه النيل ، ونشرت أبحاث هذه الندوة على صفحة كاملة كلها هجوم عليه . فهرب للدفاع عن نفسه ، وذهب إلى « الأهرام » ، وسلم من قابله هناك وجهة نظره كتابة ، وهى تتلخص فى أن كل ما قاله بهذا الخصوص إنما بناء على ما نشرته جريدة الأهرام ، وأنه ذكر ذلك صراحة في الحواشى .

وكانت جريدة الأهرام قد عرضت عليه أن يوافيها بمقال أسبوعى ، ولكنه اعتذر عن ذلك لكثره أعماله .

ومن الصعب ، بل من المستحيل ، حصر كل أفكاره ونظرياته فى هذه العجلة ، فالامر يحتاج إلى قراءة متأنية ومتعمقة لكل مؤلفاته وأبحاثه ، وإلى تأمل الرؤية العميقه التى قدمها ، والتوقف أمام تشخيصه لكل القضايا والمسائل التى تهم الإنسان المصرى بصفة خاصة ، والإنسان العربى بصفة عامة . فقد كان لا يستخلص مما يكتبه أحکاماً أو أقوالاً مبتسرة غامضة يتأنلها كما كان الناس يتأنلون أقوال الكهنة ، ولكنه كان يتبيّن بنور عقله ويستشف بقوته المبصرة ما سيحدث في المستقبل . ولا نزاع أن تقديره للغيایات البعيدة وحسابه للمقدمات التي تؤدي إليها ، والحيرة التي سيتعرض لها عند كل رأى يبديه ، كلها أمور

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

---

كانت ترهقه في آخر الأمر . فالعلم عنده لم يكن مجرد سرد أو إثبات وقائع أو تقرير حقائق ، ولكنه ربط الواقع والحقائق بعضها ببعض على نظام متسق ومطرد يصدق على أوسع مدى . والاتساق والاطراد والشمول صفات لا يبلغها العالم إلا عند تمام إدراكه لأكبر عدد من الظواهر المتشابهة والمعارف المتكاملة .

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

---

---

كانت أطول فترة عشناها معا هي الفترة التي امتدت من أيام طفولتنا وحتى صار كل منا شابا يافعا ، فتفرقت بنا السبل وتشعبت بنا الطرق ، ولكننا كنا دائما نلتقي على الحب والشوق .

ولا تخلو هذه الفترة من ذكريات ما زال بعضها يعلق بذاكرتي ومخيلتي .

فكان والدى - مع صغر سننا - يعنينا على الصلاة ، ويرغبنا في الذهاب إلى الجامع لصلة الجمعة مع الجماعة . وطلبت من جمال أن يصحبني معه إلى الجامع لتأدية صلة الجمعة ، وكانت أول مرة لي ، فرحب بذلك وأشرف على وضوئي وملابسى - فهو شقيقى الأكبر ! - ثم توجهنا إلى جامع فطين باشا بشارع التوفيقية - وهو مكان يقع على بعد أمتار من منزلنا - وهناك وقعت فى المحظور ، وسهوت عن الصلاة لحظة ، فخلطت بين السجود والركوع ! فأمسك بيدي بشدة ، ونظر إلى

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

نظرة اعتدلت بعدها فى صلاتى ! ولم أسلم من التأنيب بعد الصلاة !  
وأذكر أننا لما كنا فى المدرسة الثانوية ، أرسلنا والدى بيايعاز من  
زميله الأستاذ عفيفى إلى منزل هذا الأخير لحضور درس الدين الذى  
كان يلقىه على شبان الحى . وذهبت مع أخي إليه ، فوجدنا هناك قرابة  
عشرة شبان ، ثم وزع علينا الأستاذ عفيفى الأقلام والأوراق ، واستمعنا  
إلى درسه ، ففهمنا منه أنه عضو فى جماعة الأخوان المسلمين ، وأننا  
إذا ما واظبنا على الحضور ، فإننا سنصبح أعضاءً فى تشكيله الذى كلف  
بتدربيه وتأهيله . ولما حان موعد الدرس الثانى ، أفهمنى والدى بأننى  
مازالت صغيراً وأن أخي جمال هو الذى سيذهب إلى هناك . وحمدت  
الله لأننى لم أكن قد فهمت أى شئ مما قاله الأستاذ عفيفى فى درسه  
الأول ، وربما شعر بذلك وكلم والدى فيه ، وأن يقتصر الحضور على  
 أخي جمال . ولكنه بدوره أصر على عدم الذهاب بحجة أن لا وقت  
لديه ، وأنه مثقل بالدروس التى عليه أن يستذكرها !

ولما كبرنا وذهب كل منا إلى حال سبile ، وباعادت بيننا هموم  
الدنيا وشواغلها ، وأسفارى الدائمة خارج البلاد ، كنت أتلهم على  
رؤيته للاطمئنان عليه وعلى أحواله كلما عدت إلى القاهرة .

وحدث فى إحدى المرات ، و كنت أزوره مساءً فى فصل الشتاء  
فى بيته بالدقى ، وكنا نتسامر فى هدوء الليل ، فإذا بصوت بائع الفجل  
يقطع هذا وهو ينادى على بصناعته : ريان يا فجل وراور يا فجل !  
قطع أخي الحديث ، ونظر إلى قائلًا : تصور أنه يسير فى الشوارع فى  
عز البرد ، وأراهلك أنه أيضًا يسير حافيا ، وهو ما يدل على أنه فى  
منتهى الصحة ! وأضاف : ليته يبادلى صحته ويأخذ جميع شهادتى !  
وكان يعاني فى ذلك الوقت من الآلام بسبب احتقان فى الأمعاء الغليظة

ولى جانب هوايته لسماع الموسيقى وحضور أمسياتها فى  
جمعية ، «الجرامفون» ، فى كلية ، كان مولعا بحضور المزادات  
العلنية ، وصحبته مرة إلى إحدى هذه المزادات فى جاردن سيتى حيث  
كان يجرى بيع محتويات فيلا أحد العظام ، وكان يتوقف أمام قطع  
الأثاث والسجاجيد شارحا لى عصورها ومواطن صنعها !

وكثيرا ما لجأت إليه لاستشارته وأخذ رأيه فى بعض شلونى ،  
وكان رحب الصدر ، طويل الأنف . وكانت قد حضرت مرة إلى القاهرة  
من باريس - حيث كنت أعمل وأقيم - لأستشيره خصيصا فى موضوع

رسالتى لدكتوراه الدولة الذى سجلته فى جامعة السريون . وقد ورطنى أستاذى المشرف على الرسالة باختيار موضوع صعب وشائك هو موضوع ، البدو فى مصر فى العصور الوسطى ، وهو عبارة عن دراسة تاريخية للقبائل البدوية التى دخلت مصر منذ الفتح العربى وحتى الفتح العثمانى لمصر . وأسقط فى يدى بعد أن تبين لي أن معلوماتى ومعلومات أستاذى لائفى بالغرض ، وأن القلقشندى والمقريزى لا يكفيان لكتابة رسالة دكتوراه دولة ! ذهبت إليه وأنا أعلم أن هذا ليس بشخصه الدقيق ، وما أن عرضت عليه قضيتي حتى هون على الأمر ، وزودنى بقائمة للمراجع ، ونصحتنى بالنفس الطويل وعدم الاستعجال لأهمية الموضوع وريادته . وقد تلقى أخي نبا حصولى على درجة دكتوراه الدولة مع مرتبة الشرف بفرحة عارمة وأرسل لي خطابا يهالئنى فيه على هذا الإنجاز الرائع . ولما نشرت رسالتى فى شكل مقالات بالمجلات العلمية الأروبية ، أرسلت إليه بطبيعة الحال نسخا منها ، فاقتبس منها ما شاء له الاقتباس ، وأشار إليها فى الجزء الثانى من موسوعته ، شخصية مصر ، (صفحة ٣٠٠ وما بعدها) . وكنت حتى ذلك الوقت أكتب مقالاتى وأوقعها بامضاء

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

عبد الحميد صالح ، وهو الاسم الذى عرفت به حتى تاريخ وفاة والدى ، علما اضطررت إلى إضافة اسم « حمدان » ، وهو اسم العائلة ، إلى اسمى لإثبات الوراثة . وتم ذلك بناء على طلب والاح أخي جمال .

وكانت زوجتى ، وهى عالمة مصريات فرنسية ، وبعد أن وقفت على ما يتمتع به جمال من علم غزير وعلو كعب فى كل ما يتعلق بمصر ، تعرض عليه بحوثها لأخذ رأيه قبل نشرها فى المجالات العلمية ، لا سيما ما يتعلق منها بسكان مصر فى عصر ما قبل التاريخ ، وبمشكلة التوحيد السياسى لوادى النيل . وقد وصلنا منه مرة تعليقات على بحث لها ، وجاءت فى أربع عشرة صفحة ، بلغة فرنسية لا تشوبها شائبة . ( انظر آدناه ) .

Chere Janine,

J'étais très trop long . accepte , s'il te plait , mes excuses . Et aussi , une fois encore , mon pauvre français, si rude, pitoyable et même effroyable, sans mentionner les fautes innombrables .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

J' inclus deux lignes en arabe pour Hamid .

Mes souhaits les plus chaleureux et cordiaux à tout le monde , et mille merci pour toute chose.

Gamal,

الأخ العزيز الغالى الدكتور عبيدة

مع كل الشوق والمحبة ، ورغم الوحشة الطويلة ، فهل بقى لى أو لك شيء يقال ؟ لقد أطلت الرغى على المسكينة العزيزة السيدة چانيں ، ولكن ذنبها على جنبيها ، إذ ما عسى أن يحدث إذا اجتمع جغرافي وأركيولوجي ؟

نحن بخير ، والجميع يفكرون فيك وفي الانتظار ، فإلى سبتمبر .  
راجين أن تكون والعائلة المقدسة في أحسن صحة وحال . وبالمناسبة ،  
أين الجديد في منشورات السيدور صالح الروماني ؟ لعلك تتحفنا معك  
بآخر ما في الجعة !

لا تنس نفسك ، ولا تنعوا راحتكم وتمتعوا ببقية إجازة الصيف قبل

أن يدهمنا جميعا الجنرال شتااء ... حتى اللقاء ، لك كل أشواقى ، لولو

وفى إحدى زيارتى له ، أخبرته بأننى قد تركت التدريس الجامعى ، وأصبحت أعمل خبيرا للترجمة لدى المنظمات والهيئات الدولية . ولما أظهر تعجبه من ذلك ، بينت له الأسباب وشرحت له أن هذا العمل إلى جانب أنه عمل محبب إلى نفسي ، وينتتج لى عيشة مريحة فى أوروبا للتربية أولادى ، فإنه يسمح لى فى الوقت ذاته بالقيام بأبحاثى وكتابية مؤلفاتى ، وربما التدريس من أن لا آخر بالجامعات كأستاذ زائر . ولما اقتلع بكلامى ، نطق بلغة فرنسية سلسة المثل الفرنسي المعروف وترجمته : ليست هناك مهنة حمقاء ، ولكن هناك أناس حمقى ! وأصناف بالعربية : هل تعلم أن الدكتور لويس عوض عمل مترجما بالأمم المتحدة فى نيويورك عندما أخرجوه من الجامعة ! المهم هو ألا تتخل عن أبحاثك ومؤلفاتك !

وكان أخي جمال - رحمة الله - لا يدع مناسبة من المناسبات السارة إلا وشاركى فيها بعباراته التشجعية ومشاعره النبيلة . وقد تلقيت

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

منه فى يوم من الأيام خطاباً ريقاً ( انظر أدناه ) ، وكذلك بمناسبة قيام الدكتور محمد عداني بوضع مسرحيته « جاسوس في قصر السلطان » التي عرضت على خشبة المسرح القومي في القاهرة ، والتي استوحاهما من كتاب « التحفة الملوكية في الدولة التركية » لبيرس المنصوري ، الذي كتب قد حققته في ١٩٨٧ .

٢٤ فبراير ١٩٩٢

الأخ العزيز الغالي الدكتور عبيدة

ألف تحية وسلام ، وألف شكر على خطابك اللطيف الذي طمأننا عليكم . نحن نريد لكم الصحة والسعادة والتوفيق جميعاً . الجميع يهدونك السلام ، و يتطلعون إلى لقائك في العيد كما ذكرت ، فأهلًا . بلغ سلامي وتحياتي الخاصة والخالصة - أرجوك - لست السنوات چانين هام ، وإن شاء الله تتم العملية بنجاح ، وتعود إلى كامل صحتها ولياقتها ، لتفيض علينا بنشاطاتها وكتاباتها المتألقة .  
كذلك أرجو للعزيز الأستاذ جلال ( جلالو ) التوفيق في دراسته ، وينجح إن شاء . ومزيد التحية والتقدير للعزيز الشجاع الإستاذ كريم .

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

أرفق مع هذا قصاصة من «جمهورية» ، الأمس ، فيها خبر يسرّ  
ويسرك عن كتابك المحقق ، تحفة الملوك ، الخ .. مبروك ودائماً  
بالنجاح .

حتى اللقاء ، كل أشواقنا ومحبتنا ،

لولو

وآخر خطاب تلقيته منه كان في أوائل هذا العام ، وكان  
للسؤال عنا ، وهو الخطاب المنشور أدناه ، وقد جاء فيه :

العزيز الغالي الأستاذ عبيدة  
أظن لم يبق لنا شيء نقوله بعد هذه الملهمة أو المطولة لست  
جانين هائم والأستاذ جلال ! المهم أن تكون في صحة والأحوال عال  
والشغل كويس . وخذ بالكل من نفسك وصحتك ، ولا تغرق في العمل  
أكثر من اللازم .

نرجو أن يتحقق جلال خططه في المستقبل . وكنا سمعنا أن سيادتك  
كنت ستشرف هذه الأيام أو هذا الشتاء ثم علمنا أنك على سفر خارج

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

فرنسا . عسانا نراك ولو فى الصيف .

ترى ما أخبار مؤلفاتك القيمة الجديدة ؟

الجميع هنا يهدونك السلام ، وإن كانوا هم الذين على اتصال دائم  
بك تليفونيا .

نسيت أنأشكرك بشدة على كتابكم الرائع عن صور الفضاء - إنه  
كنز حقيقي .

لعلنا نسمع منك أو تكتب لنا بين الحين والآخر يا دكتور عبيدة .  
حتى اللقاء كل اشواقى وحبى وسلمى وتحياتى ،

لولو

ملحوظة : اسم « عبيدة » ، الذى يتصدر الخطاب ، هو الاسم الذى  
كلت أعرف به بين أفراد الأسرة ، والذى أطلقه علىَّ فى صغرى أحد  
مشايخ طنطا عندما كان فى زيارة لوالدى ، وذلك تيمناً باسم أبي عبيدة  
ابن الجراح ، أمين الأمة !

\* \* \*

ويبدو لي أن ابعاده عن الناس وعزوته عن مقابلتهم ، قد أعطى

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وعلام من عصرية الزمان

شعروا بأنه يلغر منهم ، كما أن تمسكه بالحق وتشبيسه برأيه ، قد خلق انطباعاً بأنه حاد الطبع ، صعب المراس . وقد ثبتت لى ذلك عندما كنت أسجل مع الأستاذ الكبير أنيس متصور كلمة حول كتاب ابن ظفر الصقلي « سلوان المطاع » ، وذلك في برنامجه « شيء من الفكر » . ودخلت إلى الاستوديو في الموعد المحدد ، وكان الأستاذ أمين بسيوني موجوداً ، فقد كان هو المشرف في ذلك الوقت على هذا البرنامج . وعندما بدأنا ، قال لى الأستاذ أنيس بطريقته المهدبة : اتفضل يا دكتوراً ، ولما كنت في ذلك الحين لم أكن قد حصلت على الدكتوراه بعد ، التفت إليه مصححاً ، وقلت له : إننى لست دكتوراً ! فقال الأستاذ أنيس ، وربما قد شعر بنوع من الحدة في ردّي : ياسيدى تفاؤلاً بما سيكون وأصناف : هل طبعكم كلام بهذه الحدة في العائلة ! أو عبارة مقاربة ، وكان يقصد جمال !

وعندما كنت في باريس بعد حصولي على درجة الدكتوراه ، اعترضتني بعض المسائل في أبحاثي كان الدكتور عبد الرحمن بدوى قد عرضها في مؤلفاته ، ووددت أن أستوضحه إياها ، فاتصلت به تليفونياً بمقراً قائمته الدائمة في جناحه الخاص بفلدق « لوتيسيما » ، ولما

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

عزمته بلفسى ، قال : هل أنت أخو الدكتور جمال حمدان ! فلما أجبته  
بالإيجاب ، قال : إياك أن تكون حاد الطبع وصعب المراس زيه !  
وتكل لعمرى فكرة خاطلة تماما ، فقد كان جمال فعلاً شديد  
الاعتداد بنفسه ويعلمه ، ولكنه كان في الوقت نفسه يحمل بين جنباته  
قلباً أبيضنا ولساناً عفا وشفافية روحية كانت تزداد يوماً بعد يوم ...  
وظل أخي جمال ممسكاً بقلمه حتى آخر لحظة في حياته ،  
ولم يضعه إلا لدقائق معدودات ، ذهب فيها إلى مطبخه المتواضع ليعد  
لنفسه قدحاً من الشاي ... ولم يكن يعلم أن يد المuron كانت على موعد  
معه عندما انفجرت أنبوبية البوتاجاز في وجهه ، وأمسكت الليران  
بتلابيبه ... وحاول وحده إطفاء هذه الليران التي تكاثرت عليه ...  
فكان الصدمة العصبية أشد من أن تحتمل ، واقتربت النهاية وحان  
الأجل ... فوَدَّع الدنيا في غفلة من الزمن ، ودفن يوم الأحد ١٧ أبريل  
١٩٩٣ ، بمقبرة العائلة بالبساتين ، وهي المقبرة التي بناها والدى بعد  
عودته من السعودية في سنة ١٩٦٦ ، ودفن بها سنة ١٩٨٢ عن نيف  
وتسعين سنة ، ولحقت به أمتنا بعد ستة شهور . ويرقد جمال الآن بجوار  
والديه ، ويجوار من توفاه الله من أخواتي وأخواتي ...

استقبل المثقفون في مصر والعالم العربي كتابات «جمال حمدان»، بكثير من الحفاوة والترحيب بعد أن بهرتهم هذه الكتابات بأفكارها وأسلوبها وشموخها ومنهجيتها. فأشادوا به وبهذه الكتابات، وكتبوا عنه وعن مؤلفاته ما يتعدد حصره في هذه الصفحات القليلة. وفي مقال له في جريدة المصوّر المصرية الأسبوعية، كتب الأستاذ رجاء النقاش في سنة ١٩٨٢، يقول: «إنه (جمال) المثل الأعلى للإنسان المصري العربي المثقف في هذا العصر». وكان هو أول من نادى بتكريمه وملحنه أعلى وسام في الآداب والفنون. ودبيج الأستاذ يوسف العقاد. كان من المقربين إلى قلب جمال ومن المتربدين عليه. عدة مقالات حلّ فيها أفكاره وأعماله. وكان الدكتور أنور عبد الملك - وهو الأستاذ والعالم الكبير - لا يتكلّم عنه أو يقتبس منه إلا ونعته

بجمال حمدان العظيم !

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

وودع هؤلاء المثقفون جمال بما يليق به ويستحقه . فقد سطرت أيديهم باقة رائعة من المقالات ، كتبوها بعد أن أحسوا بالخسارة الفادحة التي منيت بها مصر والتي فجرت فيهم هذه البناية من الحزن الملتهب ، فجاءت تعبيراً صادقاً عن حبهم له وإكبارهم لعلمه وكفاحه وفكره . وإن دلت هذه المقالات والدراسات على شيء فإنما تدل على أن البذور التي غرسها جمال قد آتت أكلها . وظلت هذه الأقلام منذ وفاته وحتى يومنا هذا . وستظل لسنوات وعقود قادمة .  
تتداول كل أعماله وأفكاره وحياته . وفتحت الصحف اليومية صفحاتها لهذه الكتابات ، وخصصت المجلات الأسبوعية والدورية أعداداً كاملة عن « جمال حمدان » . كما بثت وسائل الإعلام المسموعة والمرئية العديد من برامجها لهذا الغرض . وعقدت حوله الندوات في المحافل الثقافية والجامعات .

وهيئات أن نلم بكل ما قيل أو كتب عنه ، فاقتصرنا هنا على اقتباس نبذ مما نشر ، علىأمل العودة إلى الكتابات القيمة الأخرى التي نشرت ، إذا ما أذن المولى ، وكان في العمر بقية .

فقد قال الكاتب والمحلل السياسي القدير ، الأستاذ السيد يسن في

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

---

جريدة الأهرام الصادرة في ١٩٩٣/٤/١٩ ، تحت عنوان : « جمال حمدان .. مؤرخاً لشخصية مصر » ، رحل المفكر المبدع الذي لا يقل تأثيره في ميدان العلوم الاجتماعية عن تأثير مؤرخ فنسا الكبير « بروديل » مؤسس « مدرسة الحوليات » ، والذي أحدث أكبر ثورة في علم التاريخ ، تماماً مثلما أحدث جمال حمدان أكبر ثورة في علم الجغرافيا ، لأنه حولها إلى علم اجتماعي موسوعي شامل ، واستطاع بذلك أن يعالج كل أمور مصر الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والاستراتيجية ، معتمداً على أسلوب أدبي فريد ، يجعل صاحبه من كبار أصحاب الأساليب الرفيعة في الأدب العربي المعاصر » . وكتب الأستاذ أنيس منصور في هذا العدد ، وفي عموده اليومي « موقف » يقول : « عاش غريباً ومات وحيداً .. يرحمه الله مات وحده .. مات كما نموت الشهب .. محترقاً في السماء ، لا أحد رأه ، ولا أحد عرف كيف صرخ وكيف بكى ... وإنما سقط رماداً أضيف إلى تراب مصر ... يا أرض مصر قد مات فيلسوفك وشاعرك والشاهد على عبقريتك ... »

وكتب الأستاذ أحمد بهجت في صندوق الدنيا ، بجريدة الأهرام

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

ال الصادر في ٢٠/٤/١٩٩٣ يقول : « كان د. جمال حمدان مثقفاً موسوعياً ، وقد نجح في توظيف ثقافته الرفيعة في خدمة العلم ، كما كان له أسلوبه الأدبي المتميز ..»

أما الدكتور غالى شكري - الناقد والعالم المصرى الكبير - فقد خصص حلقات ثلاثة لجمال حمدان ، تحت عنوان : « مصرى من زماننا » ، نشرها الأهرام فى أعداده الصادرة فى ٢١ و٢٨/٤/١٩٩٣ ، ٥/٥ و١٩٩٣ ، وهى تعتبر درة من درر النقد العلمى نقتبس منها هذه النبذة : « وسوف يكتب الكثيرون طويلاً وعميقاً عن شخصية مصر وجمال حمدان ، ولكن تحويل هذا الكنز من المعرفة الوطنية إلى جزء من الذاكرة الجماعية للشعب المصرى أمر مختلف . ولقد برهن الإعلام المرئى والمسموع ، وكذلك برامج التربية والتعليم على أن هذا ، الأمر المختلف ، بعيد المدى .. نتكلم ليلاً ونهاراً عن التلوير والوحدة الوطنية فنذكر أعلاماً خفافة في سماء القرن الماضي أو بالكاد أوائل هذا القرن ، ونسى ما بين أيدينا في حاضرنا من كنوز ، فشخصية مصر لجمال حمدان ملحمة حية عصرية الفعل والعطاء في التلوير والوحدة الوطنية . ولكننا نخفي ثروتنا الوطنية تحت البلاطة حتى إذا ما جاء الزلزال

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامع من عصرية الزمان

توارت تحت الأرض ... ثم أحفاف : ، وهكذا لم يكن جمال حمدان عالما في الجغرافيا أو مفكرا من أبرز مفكريها فحسب ، وإنما كان مفكرا حضاريا صاحب وجهة نظر في الحضارة الإنسانية عامة ، وفي تعدد الحضارات على اختلافها وتألفها خاصة ، .

وكتب الأستاذ القدير سلامة أحمد سلامة في عموده الصادر بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٣/٤/٢٢ يقول : ، ... تجد قصة حياته ( جمال حمدان ) أزمة المتفوق والتبع والعبقرية حين تصطدم بما حولها من نكران وجود ، في مجتمع متغلب بمشكلات التخلف والمنافسات والهزازات الصغيرة ... وعلى الرغم من عزوف جمال حمدان عن الشهرة والذيع ومقاومته لكل محاولة لإخراجه من عزلته ، إلا أن كتاباته وكتبه في تحليل ، شخصية مصر ، جغرافيا وسياسيا ويشريا .. وضعته رغما عن كل شيء على القمة مثلا يحتذى لأجيال الحاضر والمستقبل .. ونموذجًا فريدًا لا يتكرر للذين يعملون في صمت وتبتل .. يموتون في عشق مصر دون مقابل ودون انتظار حتى لكلمة ثناء أو شكر ، رحمة الله ، .

وتحت عنوان ، أسبوعيات ، التي صدرت في عدد الجمعة من

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

جريدة الأهرام فى ٢٣/٤/١٩٩٣ ، كتب الأستاذ الدكتور عمر الفاروق تحت عنوان : حمدان .. عبقرية الإنسان .. والمكان ، يقول : « يطوف الحديث .. يشرق ويغرب .. ثم يستقر عند حمدان .. فيعلو ويحلو .. وتتفجر محبه من العقول ، في كل ندوة .. في كل رسالة .. في كل كتاب .. يقرر حمدان .. يذكر حمدان .. يشير حمدان ، تزهو به الجغرافيا وتتنازعه العلوم ، هل هو جغرافي أم فيلسوف ؟ أم موسيقى يعزف بالسطور ، لابل هو روائى يكتب دراما المكان ، الغائب الحاضر هو .. يتساءل عنه الجميع .. أين حمدان ؟ معتكف هو في شقته من سطرين لا يزال ولا يزال ، نحيلًا .. خفيف شعر الرأس .. لامع العينين ، مترفعا في تكشفه عن الدنایا والقشور .. زاهدا بمعاشه البسيط ، وحيدا يقرأ ويكتب ويعزف على العود حكمة أم حساسية ؟ .. وختم كلمته قائلا : « وداعا يا حمدان .. وشكرا لما أنجزته نيابة عن عشرات العلماء .. وعذرا أن تركناك وحيدا .. »

.. وفي كلمته ، شوارد ، التي كتبها الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف يامضناء ( سندباد ) ، في عدد الأهرام الصادر في ٢٣/٤/١٩٩٣ ، قال : « كان صوت جمال حمدان حين خرج من صمته بكتابه الأشهر

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

شخصية مصر، من أهم بواعث المقاومة في مواجهة أتعى تحديات العصر ، التي واجهها هذا الجيل الذي ظل يبحث عن وطنه مصر ، ويجد في كشف عن مقوماته وخصائصه وإمكاناته الطبيعية والبشرية ..  
وختم كلمته بأبيات الشعر التالية :

ليست موت امرئ شاعت فضائله  
كموت من لا له فضل وعرفان  
والموت حق ولكن ليس كل فتى  
يبكي عليه إذا يعروه فقدان  
في كل يوم ترى أهل الفضائل في نقصان عذر للجهال حجان  
وكتب الأستاذ الجليل سامي خشبة في نفس هذا العدد من الأهرام  
يقول : هل سلذكره الآن ، وقد رحل - كالرهبان - قفيراً في عاصفة  
من النار ، أم سوف ننساه ثانية ، دون أن نستغلّ عنده لحظة واحدة ،  
مثلما ننسى وعيينا ، ونحن نعيش به !

وكتب الدكتور نعمات أحمد فؤاد في الأهرام  
١٩٩٣/٤/٢٤ ، تحت عنوان الدكتور جمال حمدان ، يقول : ولأن  
فقد كأن مفاجأنا وقاسيا ، أحست في لحظة بأنني فقدت من جديد صفا  
من الشوامخ يتنظم العقاد ولطفى السيد والخلوى وعبد الوهاب عزام  
وطه حسين وأحمد أمين ومصطفى مشرفة وتوفيق الحكيم والزيارات

والمازنى وأم كلثوم . هؤلاء الذين عصرنى فقدتهم أحادا ، اجتمعت على  
كيانى بفقده ، جروحى فىهم ، ويكىت عليهم معه .. ويكىت عليه مثلهم  
آخر بكاء ، بكت نفسي على نفسي بقدر ما أنتهى إلى كل عزيز على  
مصر .. ويكىت عليك يا وطني أن تفقد غواليك وأعلى القمم ...  
أما الشاعر الكبير الأستاذ فؤاد جويدة ، فقد كتب يقول في جريدة  
الأهرام ١٩٩٣/٤/٢٥ تحت عنوان « جمال حمدان : عاشق مصر  
العظيم » ... جمال حمدان نموذج فريد من العطاء ... هذا الجهد  
المتأثر العليد الصارى الذى استطاع به جمال حمدان أن ينجز مثل هذا  
العمل الضخم الذى يحتاج لعشرات العقول .. وعشرات السنين .. ولكن  
جمال حمدان استطاع أن يقوم به بمفرده متحديا الواقع الكليب والزمن  
الردىء الذى تصور الأقزام فيه أنهم يمكن أن يطاولوا قامة الرجل  
وشموخه ، سوف نذكر في الرجل زهد النفس .. وترفع الموقف ..  
والصبر على البلاء .. وسوف نذكر مع هذا كله عطاء عالم فذ كبير ..  
وسوف نسكب دموعا غزيرة على قبر جمال حمدان .. ولكن دموع  
الدنيا لن تغفر أبدا خطيئة اسمها الجحود ...  
وكتب السفير العالم عبد الرءوف الريدى في الأهرام ١٩٩٣/٤/٢٦ ،

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامع من عبقرية الزمان

تحت عنوان : جمال حمدان : الأنشودة التي لم تنته ، يقول : إن جمال حمدان الذى كتب عن مصر وشخصيتها كما لم يكتب أحد من قبل ، وكانت حياته أنشودة عبقرية ، يمكن أن يكون موته أيضاً مناسبة لكي يتواصل عزف هذه الأنشودة لتسمعها الأجيال المتعاقبة على أرض مصر التي أعطاها حياته عقلاً وقلباً .. .

وكتب الأستاذ نبيل عبد الفتاح فى أهرام ٢٧/٤/١٩٩٣ ، تحت عنوان : وداعاً جمال حمدان : عبقرية العشق وطقوس العشاق ، يقول : ... انفتحت فى هذه اللحظة أسرار مصر المحروسة بأمر ربى ، ولب لبابها العميق بين يدي جمال حمدان ، فلا يكاد المرء يعرف أيهما العاشق أو المعشوق فى وصال الأرواح والعقول والقلوب الساعية إلى الخلود .. لقد مثلت إسهامات جمال حمدان الفكرية والجغرافية أهم إنجازات مدرسيّة مصرية بازرة في الجغرافيا .. إن سبعة آلاف سنة من الإنجاز الحضاري ، والمحن القومية ، والأزمات الممتدّة ، والمواهب المهدّبة كلها تعلن الحداد لرحيل واحد من أبرز علامات إبداع أبناء هذه الأمة وتاريخها المديد .. وهو هو ثرى مصر يأتلف راضياً مرضياً مع

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

جسد وروح عاشقها العظيم جزاء من أبيتها ، وعلامة على تضورها  
العمرى المبين .

وكتب الاستاذ صلاح الدين حافظ فى أهرام ٢٨/٤/١٩٩٣ ، يقول :

... وفي سبيل ذلك كله ، عانى جمال حمدان الوحيدة والعزلة وبؤس الحياة وفقرها ، بينما الجميع من حوله متلذذ الأوداج بالغور والصلف والثراء الكاذب والفكير المناور والثقافة الزائفة والسلوك المخادع المخايل ... ولم يكن غريباً إذن أن يشعر الرجل بالاضطهاد والمعاناة العامة والخاصة وصولاً للاكتتاب العام ، فيموت في برودة جامدة ، دون أن تهتز لرحيله مصر التي مجد عصريتها الحقيقة ، بقدر ما كشف عورتها التي لطخها بها بعض أبيائها ، من العلماء العملاء ، وزواحف الانتهازيين والمأجورين ، الذين أشاعوا الجهل والسطحية والتخلف ، فإذا بنا جميعاً ، أسرى الإرهاب والتروع الفكرى والجسدى ، في عصر يتغير دون أن ندرك حقيقة ما يجرى ! فمتى نقرأ ونوعي ونفهم حقيقة ما يجرى حقاً !

وفي جريدة الأهرام الصادرة في ٢٩/٤/١٩٩٣ ، كتب الاستاذ الدكتور محمد صابر عرب في مقال له بعنوان : جمال حمدان : المأساة

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

والعبقرية ، يقول : « و إذا كانت الظروف المأساوية التي أحاطت بوفاة راحلنا العظيم قد صناعفت من حزننا إلا أن ذلك لا يقل من حجم الكارثة الإنسانية والحضارية التي ارتكبت في حق هذا المتوحد المتشامخ جمال حمدان الذي اعتزل الحياة إلا أنه لم ينزع عنها بل تفاعل معها وراح يرصد واقعنا الثقافي والحضاري بحس وطني وبرؤية تتم عن خلفية ثقافية رفيعة المستوى » .

أما تلميذه الدكتور عبادة كحيلة ، فقد كتب في جريد الأهرام الصادرة في ٣/٥/١٩٩٣ ، تحت عنوان : جمال حمدان ... وذكريات مع الإنسان .. والعالم .. وعلم الجغرافيا ، يقول : « ذكرتني جلساتي مع هذا العبقري بجلسات أخرى مع عبقري آخر .. العقاد .. وكان يسيرا عليه أن يبحث عن نفسه خارج الجامعة ، بل خارج الوطن ، وسنحت الفرصة غير مرة ، بل صارت تلهث وراءه في زمان صار الكثرة يلهثون وراء النفط ، لكنه كان نسيج وحده آثر أن يلصرف عن دنيانا هذه الرديئة إلى دنياه التي أحب ، ورغمما عن موارد مادية محدودة ، ومتاعب صحية كان يعاني منها ، إلا أنه أدار ظهره لكل شيء .. كنت أعلم حقيقة المحنة التي مر بها ، وهي محنة صنعتها نفوس صغيرة

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

زاملته في الجامعة ، ولكنه دائمًا يتحاشى الحديث عنها ... يبقى من حمدان نموذج رائع لعالم احترم نفسه واحترم علمه ، وجعل هذا العلم قيمة لا تعلوها قيمة ، لا يهمه بعدها أى شيء ولا يهمه كل شيء ...  
كان الهم العام يكمن وراء كتب حمدان ...

وكتب صديقى وزميلى العزيز الدكتور عبد العزيز الشريبيلى - وهو أيضاً صديق وزميل جمال في المدرسة التوفيقية ، كتب يقول في جريدة الأهرام في ١٩٩٣/٥/٥ ، وتحت عنوان : جمال حمدان في صباح : «... ورغم تفوقنا نحن الأربعة ( رفعت المحجوب - صبحى عبد الحكيم - عبد العزيز الشريبيلى - جمال حمدان ) في الدراسة ، واتجاهنا إلى كليات مختلفة للدراسة بجامعة القاهرة ، فقد اتضحت منذ تلك اللحظة البعيدة الزمن مؤشرات تبرز بوضوح وجلاء عبقرية جمال حمدان ، مع أنها كانت لا تزال في مدها ، ومن أبرز هذه المؤشرات تفوقه الملحوظ في رسم الخرائط الجغرافية والتفنن في إظهار التبaines في التضاريس ، والمعالم الطبيعية ، وأضفت إلى ذلك تجويده للخط العربي ، وإخراجه في ثوب جميل للنظر ، وهذا كلّه مع أسلوب رائع عذب في كتابة ينساب كأنغام الموسيقى الحالمة ... .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

وكتب الأستاذ الفاضل أحمد صدقى الدجاني تحت عنوان : جمال حمدان ورؤاه المستقبلية ، وذلك فى جريدة الأهرام الصادرة فى ١٩٩٣/٥/٩ ، فقال : « تتميز كتب جمال حمدان بمزايا كثيرة يجعلها تتحلى مكانا خاصا فى مكتباتنا العربية ، وتتضمن إلى ذخائر تراثنا العربى . ومن أبرز هذه المزايا وفي مقدمتها ما تضمنته هذه الكتب من رؤى صاحبها المستقبلية . فجمال حمدان فى هذا القرن من تاريخ أمتنا عبر القرون ، هو واحد من نفر معدودين على صعيد عالمنا يذكروننا بيلظروا زرقاء اليقامة ، الثاقب الذى أشار إليه المقرن صاحب « نفح الطيب » ... ثم قال بعد أن عدد هذه الرؤى : « ان الحاجة ماسة لتعريف عامة قومنا وكثير من خاصتهم برؤى جمال حمدان المستقبلية لأنها تبعث على التأمل وتحث على التفكير وتشحذ الهم ... وكم تشتد الحاجة إلى تعريف أهل الحل والعقد من لم يطلعوا عليها بها ، لأنها ترسى العمل السياسى على أساس متين من النظر الاستراتيجى ، سواء اتفقت معها أم اختلفت ... » .

ومن مدينة تبوك حيث يعمل الدكتور ابراهيم عبد الفتاح يونس ، كتب فى مقال له نُشر فى جريدة الأهرام الصادرة فى ١٩٩٣/٥/١٠

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

يقول تحت عنوان : جمال حمدان .. العاشق الغريب : « شخصية تعلمت وعلمت .. تركت بصماتها واضحة على واقعنا الثقافي بصورة تبهر العقول .. وتصنع مثلاً أعلى من الصعب أن يتكرر .. ا درست على يديه في كلية الآداب ... واقتربت منه وتحاورنا كثيراً ... وفي صمت وسكون يموت جمال حمدان وهو ملء البصر والسمع لكنه غريب معزل لا يكلم أحداً .. ولا يلتقي بأحد ، ولا يسمع لأحد إلا القلم .. والكتاب .. والعود .. وأمامه مشوقته مصر .. يتغزل فيها ويكشف أسرارها ويقدم لها مالم نعرف عنها ... وداعاً أيها العاشق الغريب .. وجزاك الله خيراً على ما قدمت لمصر ولأبناء مصر .. ولن ننساك الثقافة المصرية العربية .. كلما قرأنا لك وافتدينا بك .

وكتب زميلي العزيز الدكتور ملعت أحمد إبراهيم في جريدة الأهرام الصادرة في ١٣/٥/١٩٩٣ ، وتحت عنوان : لتخليد ذكرى العالم العبقري : جمال حمدان ، يقول : في خريف عام ١٩٥٣ كان لقاء د . جمال حمدان بطلبه لأول مرة ، وتنذر أنه كان يدخل قاعة المحاضرات رشيقاً أنيقاً ، يضم إلى صدره الكتب والمراجع ، تعلو وجهه ابتسامة مشرقة ، نظراته محلقة فاحصة ... وتعددت محاضراته طوال

أعوام الدراسة ... وانبهر الجميع بشخصيته المتميزة ، وبعلمه الغزير ،  
ويروح الأستاذ الجامعي الحقة ... .

وفي خطابه الأخير إلى جمال حمدان ، كتب الدكتور محسن عبد الخالق في جريدة الأهرام الصادرة في ١٩٩٣/٥/١٧ ، يقول :

... مصر الوطن يعزوها رعدة كلما تصورت ما صنعته نارها بك ..  
لقد مات كل شيء .. وماتت فيها شيء ؟ مصر هي الباكية فقط دموع الأشخاص تجف ، لكن دموع الأوطان أبدا لا تكف ! مصر تفقدك بشدة ، فقد خصتك بما في خبيثة صدرها ، وما تسره أرضها ! فقد اعتادت أن تفك كل القيود أمام عبقريتها عندما تدلهم بها الأحوال ، وينتابها لحظات من اليأس والقنوط ! ... وبعد ، ما الذي أصابك يا وطني ؟ ! رموزك تهوى ، وكنوزك تفنى ، نزيف مستمر ، ونحن نلمم جراحك يا وطني ! .

ويتحدث الأستاذ كامل زهيري ، وكانت تربطه بجمال أواصر الصداقة والود والتقدير المتبادل ، في عموده ( من ثقب الباب ) المنشور في جريدة الجمهورية الصادرة في ١٩٩٣/٥/١٧ ، عن إعادة طبع

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

شخصية مصر في سلسلة كتاب الهلال وكيف كان هو الكتاب ، النواة ، لمحة شخصية مصر التي صدرت تباعا في أربعة أجزاء قاربت ٣٥٠ صفحة . كما تحدث في الندوة التي عقدت في دار الأوبرا عن مصر في عيون جمال حمدان ، واسترجع ذكرى لقائه به واكتشافه له في عام ١٩٦٤ وقال : لم أكن أيامها قد اكتشفت أن جمال حمدان من العائلات البصرية أو تلك السلالة النادرة التي تخلصت من أمية العين والتي تعشق الرسم والفنون التشكيلية . فقد كانت قدرة حمدان الفذة هي أنه يستطيع نقل المجردات إلى محسوسات بصرية . ثم قال : وحمدان لم يضف ولكنه بنى وجدد وطرح منهجاً عربياً لدراسة الجغرافيا . أما الدكتور على برkat فقد كتب في أهرام الجمعة الصادر في ١٩٩٣/٥/٢١ ، تحت عنوان ، شخصية مصر عند جمال حمدان ، دراسة عن الجزء الثاني من شخصية مصر . الذي جدد فيه جمال حمدان ، ومن خلال قراءة متأنية لتاريخ مصر عبر العصور ، وعلى ضوء حقائق المكان (الموقع والموضع) الضوابط الرئيسية التي حكمت حركة التاريخ المصري ، محاولا الوصول إلى القوانين العامة في حركة التاريخ هذه فيما يصل إلى الحتمية الجغرافية ، مستعرضا

لأكثر الإشكاليات تعقيداً في تاريخ مصر ، ومن بينها إشكاليتان  
رئيسيتان :

الأولى : علاقة الاستبداد - تاريخياً - بنظام الحكم في مصر ،  
وانعكاسات ذلك على الشخصية الوطنية المصرية .

والآخرى : علاقة العامل الخارجي بحركة التاريخ المصري .

وركز الأستاذ سامح كريم في عموده الثقافي بعدد الجمعة من  
جريدة الأهرام وعلى أربع حلقات ابتداء من ١٩٩٣/٥/٢١ ، على  
اهتماماته بعصرية المكان وعلى استعداده الفطري وميله الشخصي  
للجغرافيا الذي جعله يقول ذات يوم بأنه مخلوق جغرافي ، أو أنه خلق  
هكذا جغرافيا رغم أنفه . وأن هذا كان ترجمة حقيقة لميوله الفنية . ثم  
تكلم عن دراسته للقاهرة التي جاءت كمقدمة لكتاب ديزموند شتيواث  
الذى ترجمه الكاتب الراحل يحيى حقي . ثم تحدث عن شخصية مصر  
وعصرية المكان ، فقال : ولو أن الدكتور حمدان لم يترك غير هذا  
الكتاب لاكتفى به عملاً صالحًا يشرفه ، ولاعتبرته مصر سجلاً حافلاً  
يروى عظمتها . وخلص من ذلك إلى أن عزلته كانت متجة .

وكتب الأستاذ الدكتور إبراهيم العيسوى في جريدة الأهرام الصادرة

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

فى ٢٣/٥/١٩٩٣ تحت عنوان دروس من سيرة صاحب شخصية مصر ، يقول : هل كان من المحتم أن يموت جمال حمدان تلك الميئه المأساوية حتى نفيق ونلتقط إلى ما فى بلادنا من درر مزروية . إن فى حياة وممات جمال حمدان عبرا كثيرة ودروسًا شتى يمكن الاستفادة منها فى إنها فى مصر وبناء مستقبل أكثر إشراقاً لها . وقال : إن أهم هذه العبر والدروس هى : ١- درس الانتماء ، ٢- درس القدوة ، ٣- درس الإبداع ، ٤- درس المؤسسات .

وكتب الأستاذ محمد العزبي صادقاً تحت عنوان كيف تصبح وزيراً فى جريدة الجمهورية الصادرة ٢٥/٥/١٩٩٣ : وبمناسبة ، جمال حمدان ، ما أكثر الذين كتبوا عنه بعد موته ، وكلهم قالوا بأنه كان صديقاً ، وكان يفتح لطريقاتهم المعينة بابه ، وكان يخصهم بأفكاره ، وتلك على أية حال ظاهرة عالمية ، وهناك متخصصون في كتابة المذكرات والذكريات والاستشهاد بأقوال الذين فارقوا الحياة وأصناف : أين كان كل هؤلاء والعالم الجليل يعاني من ظلم المجتمع وفساده حتى عندما زالت الظروف التي كانت تمنع الخوض في أسباب غضب ، جمال حمدان ، خوفاً من الحكم ، ... وإنما تركناه وحده يدافع عن

كرامتنا بطريقته الخاصة ، رحمه الله ...

وكتب دكتور شعبان عبد العزيز عفيفى فى بريد الأهرام بتاريخ ١٩٩٣/٦/١٦ : ما أكثر المقالات والأبحاث والدراسات التى كتبت عن المرحوم الدكتور جمال حمدان ، والتى أشادت جميعها بغزاره علمه وبالقيمة الأكademie والفكريه الممتازه لكتبه ومؤلفاته ، كما أبرزت تواضعه واعتزاله الحياة الاجتماعية وابتعاده عن الناس لكي يتفرغ للبحث والدراسة . وإنى أتساءل ... لماذا لم يهتم كاتب واحد - أثناء حياة الدكتور جمال حمدان - بمعرفة السبب أو الأسباب التي دعته إلى الاستقالة من الجامعة وإلى اعزال المجتمع وبعد عن دنيا الناس ؟ ...  
أذكر أننى عندما كنت طالبا بقسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب جامعة القاهرة فى ملتصف وأواخر الخمسينيات ، كنت ، أزوج ، من بعض محاضرات القسم لكي أحضر محاضرات الدكتور حمدان بقسم الجغرافيا ، وكان بعد لا يزال شابا عائدا حديثا بالدكتوراه من بريطانيا ، وكانت أجد فى محاضراته - رغم أنها ليست تخصصى - متعة كبيرة وفائدة عظيمة لأنه كان بعلمه الغزير وثقافته يخلق بنا فى آفاق المعرفه الواسعة ثم يهبط بنا فى مطار الجغرافيا ...

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

رحمه الله رحمة واسعة ... وعوضنا عنه خيراً ...  
فمصر فعلاً ، ولادة ، ...

وكتب الأستاذ مأمون غريب في مجلة آخر ساعة الصادرة في ٢١/٤/١٩٩٣ تحت عنوان : عاشق شخصية مصر : رحل وحيداً ، يقول : ... أذكر أن علامات الاستفهام الحائرة والمحيّرة تلك قد ارتسّت في ذهني كلما قرأت كتاباً أو بحثاً أو مقالاً له ... ومن خلال ما قرأته عنه وله ... أنه كان يستيقظ في الفجر ، ويبدأ في الكتابة حتى الساعة الحادية عشرة ثم يعاود الكتابة مرة أخرى من الساعة الثالثة حتى السابعة . وكان يرى أن القراءة سهلة ويسيرة ، والتفكير أسهل من القراءة ، ولكن المشكلة الحقيقية هي الكتابة .. فقد كان يرى فيها معاناة شديدة . وكان يتحدث عن حبه للجغرافيا بقوله : هذه مهلاً و هو ابكيه التقى فيها استعدادي الطبيعي مع ميلى الشخصى ، وأنا أعتقد أن تركيبة عقلتى جغرافية بحتة ، فأنا مخلوق جغرافي .. أو حيوان جغرافي .. فقد خلقت جغرافيا رغم أنفه .. وأنا أعتقد أن استعدادي الطبيعي للجغرافيا هو الترجمة العلمية لاستعداداتي وميولى الفنية ، فأنا أقرب بالجغرافيا من الفن .. وأنا تستهونى الطبيعة وجمالها ... رحم الله

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

العالم الكبير الذي ملأ الدنيا حياة ، وترك من خلفه ما هو جدير بالخلود .

وتحدى الكاتب الكبير الأستاذ عبد العال الحمامصى فى مجلة أكتوبر الصادرة فى ١٩٩٣/٤/٢٥ ، وتحت عنوان : جمال حمدان : ناسك الفكر .. رافض الصخب !! ، يقول : إن هذا المفكر يقف فى تاريخنا شاهدا حياً على أصلالة العبرية المصرية التى أعطت جماع وجودها وذوب عمرها للعلم الخالص المجرد من المطامع .. لقد تنسك هذا الرجل الفذ فى صومعته .. معزلا الصخب .. رافضا التقائل حول منصب أو التكالب حول وجاهة .. مترفعا على الدنيا والأغراض .. والأغراض ... إن تاريخنا المعاصر لم يعرف راهبا فكرييا مثل الدكتور جمال حمدان الذى تأبى على صراع التفاهات والمناصب وأصوات الوجاهة وهالات الشهرة ليتفرغ لعلمه وكتبه التى تقف من علامات الثقافة المصرية المتفوقة والمتوجهة فى النصف الأخير من هذا القرن .. بدون أن يسعى إلى موقع يعادل قامته .. وحتى الجوائز التى نالها مصر يا وعريبا جاءته صاغرة تطرق بابه .. وتشرف به أكثر مما تشرف بها .. لأن أوسمته كانت عبقرية كتبه وحدها !! .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

وأصدرت مجلة القاهرة المصرية عدداً به ملف خاص عن « جمال حمدان في الثقافة المصرية »، الخبرة من كبار الأستاذة ، منهم الدكتورة لطيفة الزيات التي قالت : « كان عبقرى ... بمعنى قدرة الإنسان على أن يمنح نفسه كلية وبدلا تحفظات للعمل الذي يجده ويبيده ... ولا يعاني من رغبات الدنيا سوى الرغبة في استكمال هذا العمل على الوجه الأكمل والأمثل ... »، وفي نفس الملف كتب الدكتور شكري عياد يقول : « كنا نعمل معاً في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، كان هو في قسم الجغرافيا وكلت في قسم اللغة العربية ... وكان كلانا يعرف الآخر بالاسم .. وكان أول ما استرعى نظرى في شخصيته شدة الانضباط فى هدامه وكلامه ... »، أما الدكتور حسن حنفى فقد كتب في نفس الملف يقول : « ... أعطتني شخصية مصر الأساس الجغرافي للتاريخ والسياسة والاجتماع ، وتحولتى من مثالية السماء إلى واقعية الأرض .. من الثقافة إلى التاريخ ، ومن العقائد إلى الجغرافيا ... »، وقال الدكتور بهيج إسماعيل : عاش جمال حمدان كل سنوات عمره ... كأنها يوم واحد طويل ... ولكنه كان يحيا داخل عقله العبقري في اليوم الواحد كل سنوات التاريخ ... وهكذا لم يعد جمال حمدان يحس في الليل ببرودة

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

---

المكان أو أن الجدران من حوله صفراء رطبة .. بل لم يحس حين أمسكت به الديران أن جسده كان ذا قيمة كبيرة داخل الرحلة الطويلة .

ونظم مركز البحوث والدراسات بجامعة القاهرة ندوة علمية تحت عنوان : جمال حمدان : التفاعل بين عبقرية الإنسان والمكان ، قال الدكتور أحمد الغندور في افتتاحها :

إن هذه الندوة هي كلمة عرفةان للعالم الراحل الذى شكل رحيله خسارة علمية ، فقد كان قلماً أصيلاً ومتاماً ، وأضاف الدكتور على الدين هلال مدير المركز أن الندوة ليست مناسبة للتأبين لأن المفكر لا يموت وقال محمود أمين العالم إن القيمة الكبيرة التي يمثلها جمال حمدان تتمثل في أنه كان صاحب مشروع حضاري شامل يعتبر امتداداً لمشروع عصر النهضة وهو يلتقي مع المفكر العربي ابن خلدون من زاوية تقديم الرؤية الشاملة ، فقد قدم حمدان في شخصية مصر رؤية عمرانية استراتيجية شاملة تبدأ من الواقع الجغرافي الطبيعي لتس كل القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكان حمدان حريصاً

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

على تحديد المنهج وابراز طابع الجغرافيا كعلم هدفه الوصول من دقائق التفاصيل الى القوانين الحاكمة باعتبار أن النظرة الشاملة هي المدخل المنهجي لاكتشاف الحقيقة وجمع بين النظرة التحليلية الحقيقة وجمع بين النظرة التحليلية التاليسكوبية والنظرة الشاملة الميكروسкопية وكانت رؤيته تتجسد في أن الجغرافيا هي التاريخ الثابت والتاريخ هو الجغرافيا المتحركة وقال الدكتور صبحي عبد الحكيم : إن حمدان استطاع لن يطل من نافذة الجغرافيا على فروع كثيرة من المعرفة وخطاب جمهورا عريضا لم يقتصر على أهل الاختصاص وكان هناك إجماع بين الحضور من عايشوا جمال حمدان على أنه كان معتزاً بنفسه لأبعد حد وكان في غاية الحساسية وقال الدكتور أحمد على اسماعيل رئيس قسم الجغرافيا : إن اعتزال حمدان لم يكن عزلة لأنه ظل ينفعل بما يجري حوله ، وكان اعتزاله اقتحاما وليس انسحابا حيث اتسعت دائرة جمهوره لتشمل عامة المثقفين وبلغ انتاجه ٢٢ كتابا و ٢٦ مقالا .

### وقالوا عنه ...

- رحيل جمال حمدان خسارة كبرى لمصر على جميع المستويات الجغرافية والتاريخية والثقافية . ورغم معرفتى المتواضعة به إلا أننى أحترمه كعقلية قلما يوجد بها الزمان .  
رحمه الله وعوض مصر عليه خيرا .

(دكتور شوقي ضيف)

- كان جمال حمدان مثلاً للعالم الأديب المؤرخ المدقق الذى كرس حياته لكتابة أروع الكتب التى تمجد مصر ، وخاصة فى مؤلفه الفريد « شخصية مصر »

(الأستاذ نجيب المستكاوى)

- إن وفاة جمال حمدان خسارة فادحة للبحث العلمي الجاد ولأنه

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

كان نموذجا فريدا للتجدد العلمي وكان راهب فكر .

(الأستاذ عبد الوهاب مطهار)

- كان رفضه للمجتمع رفضا إيجابيا بمعنى أنه مستمر في العطاء والكتابة ، ولم ينهزم حتى آخر لحظة في حياته . قدرته على الاستمرار كانت جزءا من شخصية مصر نفسها وأخيرا لم أتصور أبدا أن يموت بهذه الطريقة المأساوية .

(الأستاذ يوسف القعيد)

- سقط هرم من أهرامات مصر ورحل عنا فارس من فرساننا إنه العالم الراهن الأستاذ الدكتور جمال حمدان ، رحل عنا في صمت تاركا أبلغ الأثر في نفوسنا . وكان رحمة الله يضرب المثل الفريد بالفعل والواقع العملي لجيل الشباب ويوصل إليهم رسالة الاهتمام بالبحث العلمي والجدية في طلب المعرفة .

(دكتور يسرى عبد المحسن)

- وهكذا رحل جمال حمدان تاركا تراثا مجيدا في شخصية مصر ونموذجًا فريدا في الوفاء والحب لأرض مصر .

(دكتور مينا بديع عبد الملك)

- كان واسع الصدر للمناقشة والأسئلة كما كان طاهر القلب نقى

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
ولامع من عصرية الزمان

---

اللسان . حزنت والله على فقده حزنا عميقا لأنى كنت أراسله بعد التخرج .

( عبد المحسن مرزوق - من تلاميذه )

- هكذا كان الدكتور العظيم جمال حمدان .. اختار أن يكون فقيرا مصريا في حياته ، كما عاش غاندي الفقير الهندي .. هو من عائلة كبيرة ، وله أموال كثيرة ومركز علمي جامعي .. ترك كل هذا من أجل أن يكتب للأجيال شخصية مصر ..

( سمير صبحي )

- لقد رفض الدكتور جمال حمدان المناصب والجوائز والجاه والمال ، ورفض الزوج والولد كي يتفرغ للعلم ... فسلام عليه في الخالدين .

( لواء أحمد العرنوسي )

تشهد مصر ٣٠ مولودا كل ثانية ، وأكثر من نصفهم تقريبا يذهب اللقاء ربه ، ولكن رحلة الموت والحياة تستمر في إيقاعها العادي دون أن يشعر بها إلا عدد قليل من الناس ، أما العباقرة فهم الذين يستطيعون تثبيت التاريخ ، ويوم وفاة جمال حمدان لن يكون مجرد يوم

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

عادى . إنه علامة في التاريخ الفكري والعلمي لمصر ، ولا يستطيع أحد أن يزعم إذا كانت شجرة جمال حمدان العلمية سوف تثمر في القريب العاجل أم أنها ننتظر جيلاً أكثر حكمة وأكثر احتراماً للعلم ، لقد عرفت هذا المؤرخ العبقري عن قرب ونشرت له أولى كتاباته في مجلات الهلال ، ومذ قرأت مقاله الأول أدركت أنه ليس أستاذاً جامعياً أو مثقفاً عادياً ولكنه موسوعة عبقرية شاملة .

( كامل زهيري )

ـ جمال حمدان شخصية مصرية عالمية بكل المعانى ليس مجرد للجغرافيا وإنما كان مفكراً فذا في تاريخ مصر الحديث ، فهو وحده الذي استطاع أن يقيم لنفسه ميزاناً ليس لأحد غيره هذا الميزان . إن العلم وحده الذي يستطيع أن يلقد الأمم ويرقى بها في مدارج النهضة ، وسوف تظل موسعته ، شخصية مصر ، شاهداً لا يبارى في أن مصر التي أنجبته تستطيع برغم الحزن العميق أن تتجه في تلاميذه شموعاً جديدة للنهضة المواتجة . حزني الشخصى بلا حدود لأنى أعلم أن د/ حمدان كان متكباً في هذه الفترة بالذات على كتاب ، جغرافية الإسلام ، وهو كتاب بالغ الأهمية وهو موسوعة جديدة تضاف إلى

أعماله .

(الدكتور غالى شكرى)

- اكتشافاته العلمية ليست محل خلاف مع أحد ولكن ما يلفت الأنظار حوله أن هذا العالم الذى أرسى شخصية مصر وعصرية مكانها يعيش وحيداً ممعزاً ويعوم وحيداً محترقاً . لماذا نجد هذا الإنجاز العلمي الضخم بينما بينما يكون صاحبه خارج الحياة العامة ربما لأن قدر العالم أن يقف موقف المعارض للسائد ضد الحياة العامة والتي تصيبه الخناق . ومؤسسة الدكتور جمال حمدان تدعونا للنظر لتأمل الحياة العلمية والاهتمام بالعلماء وإنجازتهم العلمية فيجب أن يفكر الجميع في إتاحة المناخ للفكر الحر المبدع وإزالة كل العقبات التي تتعرض لها العقليات الفذة وعدم التمسك بشكليات تحاول ، ولا تنفك موقفاً سلبياً من الاستهلاك الفكري ولا بد من الحفاظ على الخصائص الحية للهوية في وطننا العربي .

(إبراهيم فتحي)

- سيبقى جمال حمدان نموذجاً للأكاديمي الجاد بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . فقد أثبت أن الابتعاد عن المشاكل ليس هروباً بقدر ما هو سمو وأن عزلة المجتمع قد تكون أحياناً أقوى من الاندماج

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

فيه . لقد عرفته من خلال كتاباته الجادة التي تثبت أنه عاشق كبير لمصر وللمعرفة والحضارة في نفس الوقت .. رحمة الله .

(عاطف العراقي)

- إذا كان جمال حمدان في نظر الجميع عبقرية علمية فإنه بالإضافة إلى ذلك من وجهة نظرى نموذج للبقرية الإنسانية والنفسية . وأنا كطبيب نفساني أرى في ما فعله جمال حمدان من حيث قدرته على الاعتزال والتفرغ التام للبحث العلمي والابتعاد عن كل مغريات الحياة أرى في ذلك نوعا من الإعجاز النفسي وقوة الشخصية والإرادة وتحدى الكتاب . وأنصورو أن أي إنسان في موقعه لم يكن أمامه إلا العودة المرضية إلى المجتمع أو الانتحار ولكن عبقرية جمال حمدان وإرادته معا قد حفظته وحفظت صحته النفسية وهذا ما يستحق التأمل والدراسة .

(الدكتور يحيى الرخاوي)

- الزمن الذي نعيش فيه يثبت لنا كل يوم أن الإحباط هو سيد الموقف والذين يعيشون في هذا الزمن ليس أمامهم إلا الصبر واحتمال الفجيعة تلو الفجيعة ، والصفعة تلو الصفعة فالسلالية والانتهازية والوصولية في

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

---

كل مكان حتى داخل أسوار الجامعة ، وسيبقى نموذج جمال حمدان  
لي Finch الأقزام وقصار القامة الذين حاولوا الصعود على حساب مستقبله  
الجامعي ولكنه سيعيش حتى بعد رحيله ، فالعباقرة لا يموتون .  
(د. أحمد عبد الرحيم مصطفى)

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

---

## الملاحق

---

---

(١٣١)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

## الملحق الأول

### قائمة بمؤلفاته العربية التي نشرت باللغة العربية

- دراسات في العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- أنماط من البيئات ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- دراسة في جغرافيا المدن ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- المدينة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- بترول العرب ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- الاستعمار والتحرير في العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- اليهود انثروبولوجيا ، كتاب الهلال ، ١٩٦٧ .
- شخصية مصر ، كتاب الهلال ، ١٩٦٧ .
- استراتيجية الاستعمار والتحرير ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- مقدمة كتاب ، القاهرة ، لديزموند ستيفارت ، ترجمة يحيى حقي ، ١٩٦٩ .
- العالم الإسلامي المعاصر ، القاهرة ١٩٧١ .

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

- بين أوروبا وآسيا ، دراسة في النظائر الجغرافية ،  
القاهرة ، ١٩٧٢ .
- الجمهورية العربية الليبية ، دراسة في الجغرافيا السياسية ،  
القاهرة ، ١٩٧٣ .
- ٦ أكتوبر في الاستراتيجية العالمية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- قناة السويس ، القاهرة ١٩٧٥ .
- أفريقيا الجديدة ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- موسوعة شخصية مصر- دراسة في عبقرية المكان ، ٤ أجزاء ،  
القاهرة ، ١٩٧٥ - ١٩٨٤ .

## الملحق الثاني

### قائمة بمؤلفاته وبحوثه المنشورة باللغة الانجليزية

- Population of the Nile Mid - Delta, past and present,  
Reading University, June 1953, 2 vol ..
- Khartum : study of a city, Geog . Review, 1956 .
- Studies in Egyptian Urbanism, Cairo, 1960 .
- Evolution of irrigation agriculture in Egypt, in :  
A history of land use in arid regions, ed. L. Dubley  
Stamp, Unesco, Paris, 1961 .
- Egypt, the land and the people, in : Guide book to geology, 1962 .
- Pattern of medival urbanism in arab world, Geog . Review, April 1962 .
- Political map of the new Africa, Geog . Review, oct . 1963.
- The four dimensions of the Egypt, ( underprint ) .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

### الملحق الثالث

#### المقالات المنشورة باللغة العربية

#### في المجلات والجرائد

في مجلة (الهلال)

١ - فلسطين والوحدة . سنة ١٩٦٤ (١٠ صفحات)

٢ - نحو حل علمي لمشكلة قبرص . اكتوبر سنة ١٩٦٤

(١٠ صفحات)

٣ - ماذا تعد إسرائيل عسكريا . نوفمبر سنة ١٩٦٤ (٨ صفحات)

٤ - أصول تاريخية وجغرافية في مصر . البيروقراطية والجغرافيا .

فبراير سنة ١٩٦٥ . (١٢ صفحة)

٥ - هل تملك إسرائيل سلاحا ذريا . مايو سنة ١٩٦٥ (١٢ صفحة)

٦ - إسرائيل الصهيونية وأرض فلسطين . عدد فلسطين (٥) السنة ٧٦

مايو سنة ١٩٦٨ (٢٠ صفحة)

٧ - مقتطفات من مقالة ( هل تملك إسرائيل أسلحة ذرية ) .

عدد الهلال الماسى ( ٧٥ ) . مع صورة للدكتور / جمال

حمدان (صفحة واحدة)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

---

في مجلة ( الكاتب ) :

- ١ - الوحدة العربية بين مقوماتها ومعوقاتها - العدد ( ٥٩ ) فبراير سنة ١٩٦٦ ( ١٥ صفحة )
- ٢ - معركة العودة والاستراتيجية النووية - العدد ( ٦٠ ) مارس سنة ١٩٦٦ ( ١٨ صفحة )
- ٣ - نافذة على البحر الأحمر - القصیر لا برنس - العدد ( ٦٢ ) مايو سنة ١٩٦٦ ( ١٠ صفحات )
- ٤ - قضية فلسطين والموقف العربي العدد ( ٦٥ ) أغسطس سنة ١٩٦٦ ( ١٩ صفحة )
- ٥ - قضية فلسطين ومحور الاستعمار والصهيونية العدد ( ٦٧ ) اكتوبر سنة ١٩٦٦ ( ١٧ صفحة )
- ٦ - قضية فلسطين والعدو الإسرائيلي - العدد ( ٦٨ ) نوفمبر ١٩٦٦ ( ٢٥ صفحة )
- ٧ - الأردن دولة - دراسة في الجغرافيا السياسية ( ١ ) العدد ( ٧٠ ) يناير سنة ١٩٦٧ ( ٢٠ صفحة )
- ٨ - الأردن دولة - دراسة في الجغرافيا السياسية ( ٢ ) العدد ( ٧١ ) فبراير سنة ١٩٦٧ ( ١٥ صفحة )

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

- ٩ - نظرة على الموقف قبل المعركة . العدد ( ٧٥ ) يونيو سنة ١٩٦٧  
( ١٧ صفحة )
- ١٠ - أهداف ثابتة ووسائل متغيرة . العدد ( ٧٧ ) أغسطس سنة ١٩٦٧  
( ٢١ صفحة )
- ١١ - حول الدعوة إلى نظرة جديدة إلى القضية الفلسطينية العدد ( ٨٥ )  
ابريل سنة ١٩٦٨ ( ١٧ صفحة )
- ١٢ - فلسطينيات - بين معركة الدعاية ومعركة الميدان . العدد ( ٨٧ )  
يونيو سنة ١٩٦٨ ( ٤٤ صفحة )  
في مجلة ( مرآة العلوم الاجتماعية : )
- ١ - مورفولوجية الشام العدد الثاني ، مارس سنة ١٩٦٤  
( ٢٦ صفحة )
- ٢ - نحو مدرسة عربية في الجغرافيا . العدد الاول ، ديسمبر سنة ١٩٦٤  
( ٢٨ صفحة )
- ٣ - الزراعة في سوريا ، العدد الأول ، ديسمبر سنة ١٩٦٥  
( ٢٠ صفحة )
- ٤ - ديموغرافية العواصم الأفريقية ، العدد الأول ، ديسمبر سنة ١٩٦٢  
( ١٢ صفحة )

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

---

- ٥- افريقيا . من جغرافية الاستعمار الى التحرير العدد الثاني مارس سنة ١٩٥٨ (١٣ صفحة)
- ٦- هذه الجغرافية ، العدد الأول ديسمبر سنة ١٩٥٧ (١٠ صفحات)
- ٧- الموقع الاستراتيجية للعالم العربي - العدد الثاني يونيو سنة ١٩٥٨ (١٣ صفحة)
- ٨- التخطيط الاقليمي بين موارد المياه والسكان في مصر - العددان الرابع والخامس - مايو سنة ١٩٥٩ (١٤ صفحة)
- ٩- تخطيطنا الإداري في ضوء نظام الحكم المحلي - العدد الثالث ، يونيو سنة ١٩٦١ (١٧ صفحة)
- ١٠- أسماء الأماكن في العالم العربي - العدد الثاني ، مارس سنة ١٩٦٣ (١٤ صفحة)
- ١١- الصناعة السورية - العدد الثاني ، مارس سنة ١٩٦٦ (١٦ صفحة)
- في مجلة ( الفكر المعاصر ) :
- ١- هيكل المجتمع الإسرائيلي - العدد (٦) أغسطس ، سنة ١٩٦٥ (١٠ صفحات)

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

- ٢ - حول وحدة الرافدين والدليل - دراسة علمية لقوة العراق الاستراتيجية ، العدد (١٢) ، فبراير سنة ١٩٦٦ (١٢ صفحة)
- ٣ - خريطة القومية الافريقية : تحليل علمي منهجى لوضع الانسان الافريقي المعاصر- العدد (١٤) ، ابريل سنة ١٩٦٦ (١١ صفحة)
- ٤ - من جغرافية الإسلام : دراسة رائدة عن توزيع المسلمين في العالم- العدد (٢٠) ، اكتوبر سنة ١٩٦٦ (١٨ صفحة)
- ٥ - ليس اليهود من بني اسرائيل : دراسة علمية لاسطورة الاصل اليهودي - مهداة الى سارتر- العدد (٢٤) ، فبراير سنة ١٩٦٧ (١٢ صفحة)
- ٦ - المعركة لم تنته من بني .. بل بدأت- العدد (٣٠) ، أغسطس سنة ١٩٦٧ (١٥ صفحة)
- ٧ - نحن والدولة العصرية - العدد (٤١) ، يوليو سنة ١٩٦٨ (١٧ صفحة)

فى مجلة ( كلية الآداب ) :

١ - فى العلاقة بين السكان والتصارييف . دراسة فى جغرافية السكان - المجلد (١٩) الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٥٧

( ٢٠ صفحة )

٢ - العلمية الجديدة . نحو نظرية معرفة متطرفة ، وعلم مدحى جغرافي ، عدد (٥٢) ١٩٩١ .

فى مجلة ( نهضة افريقيا ) :

١ - الخريطة السياسية الافريقية ، (١) ، (٢) مقالتان . العددان (٦٩) ، (٧٠) أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٦٣ (٨ صفحات)

٢ - الخريطة السياسية لافريقيا الجديدة . العدد (٧٠) سبتمبر ١٩٦٣ (٩ صفحات)

٣ - العواصم الافريقية (١) ، (٢) ، (٣) ثلاث مقالات . الاعداد (٧٤) ، (٧٥) ديسمبر سنة ١٩٦٣ يناير وفبراير سنة ١٩٦٤ (٧، ٥، ٦ صفحات)

فى مجلة ( المجلة ) :

١ - الإسلام فى افريقيا ، دراسة سياسية . العدد (٨٢) نوفمبر ١٩٦٣ (٧ صفحات)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

- ٢ - جغرافية الثورة - العدد (٨٨) ابريل ١٩٦٤ (٢٠ صفحة)
- ٣ - جوانب سياسية في بتروال العرب - العدد (٩١) يوليو ١٩٦٤ (١٤ صفحة)
- ٤ - شخصية مصر - مركبة رغم الامتداد - العدد (٩٥) نوفمبر ١٩٦٤ (٩ صفحات)
- ٥ - شخصية مصر - بين مياه النيل وطريق السويس - العدد (٩٦) ديسمبر ١٩٦٤ (١٠ صفحات)
- ٦ - شخصية مصر - تعدد الجوانب - العدد (٩٧) يناير ١٩٦٥ .
- ٧ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (١) - العدد (١٠٥) سبتمبر ١٩٦٥ (٢٠ صفحة)
- ٨ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (٢) - العدد (١٠٦) اكتوبر ١٩٦٥ (٢٠ صفحة)
- ٩ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (٣) - العدد (١٠٧) نوفمبر ١٩٦٥ (٢٥ صفحة)
- ١٠ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (٤) - العدد (١٠٨) ديسمبر ١٩٦٥ (٢٢ صفحة)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عصرية الزمان

---

- ١١ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (٥) - العدد (١٠٩)  
يناير ١٩٦٦ (١٢ صفحة)
- ١٢ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (٦) - العدد (١) ١٩٦٦
- ١٣ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (٧) - العدد (١١٢)  
ابril ١٩٦٦ (١٦ صفحة)
- ١٤ - بين اوروبا وآسيا - نظائر ونماذج جغرافية (١) - العدد (١٣٦)  
ابريل ١٩٦٨ (١٦ صفحة)
- ١٥ - بين اوروبا وآسيا - نظائر ونماذج جغرافية (٢) - العدد (١٣٧)  
(مايو ١٩٦٨ (١٣ صفحة)
- ١٦ - بين اوروبا وآسيا - نظائر ونماذج جغرافية (٣) - العدد (١٣٨)  
يونيو ١٩٦٨ (١١ صفحة)
- ١٧ - بين اوروبا وآسيا - نظائر ونماذج جغرافية (٤) - العدد (١٣٩)  
يوليو ١٩٦٨ (١١ صفحة)
- فى جريدة (الأهرام) :

(١) من مشاكل الحكم المحلي . عصر التفرقة بين ، مديرية ،  
محافظة ، لا يزال باقيا (١٩٦٤/٨/٢٦ )

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان  
وملامح من عبقرية الزمان

(٢) حول برنامج العمل الوطنى والدعوة الى خريطة جديدة  
لمصر - خريطة مصر الجديدة وجغرافية سنة ٢٠٠٠ (١)  
الأهرام (١٩٧١/٨/١١)

(٣) قضية إعادة بناء القرية (٢) الأهرام (١٩٧١/٨/١٥)

(٤) اتحاد الجمهورية العربية : الدولة والرسالة - الأهرام  
(١٩٧١/٩/٢)

(٥) معادلة القوة الجديدة في الاستراتيجية العالمية : لعبة توازن القرن  
الحادي عشر .. في صورة أكبر - الأهرام (١٩٧٣/٢/١٣)

(٦) محاور الاستقطاب في آسيا : هل تصبح آسيا الجديدة .. هي أوروبا  
القرن الجديد - الأهرام (١٩٧٣/٣/٢٤)

(٧) اقتراح محدد حول إعادة تخطيط أرض المعارض - الأهرام  
(١٩٧٣/٧/١٤)

(٨) لا تنقلوا عاصمة مصر (١٩٧٦/٦/١٨)

مقالات أخرى في مصادر متنوعة

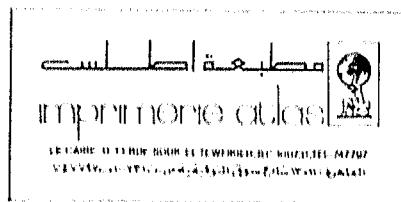
١ - نمو وتوزيع السكان في مصر - ١٩٥٩ - القاهرة .

٢ - إعادة بناء القرية المصرية - مجلة الطليعة - عدد مايو ١٩٧٦ .

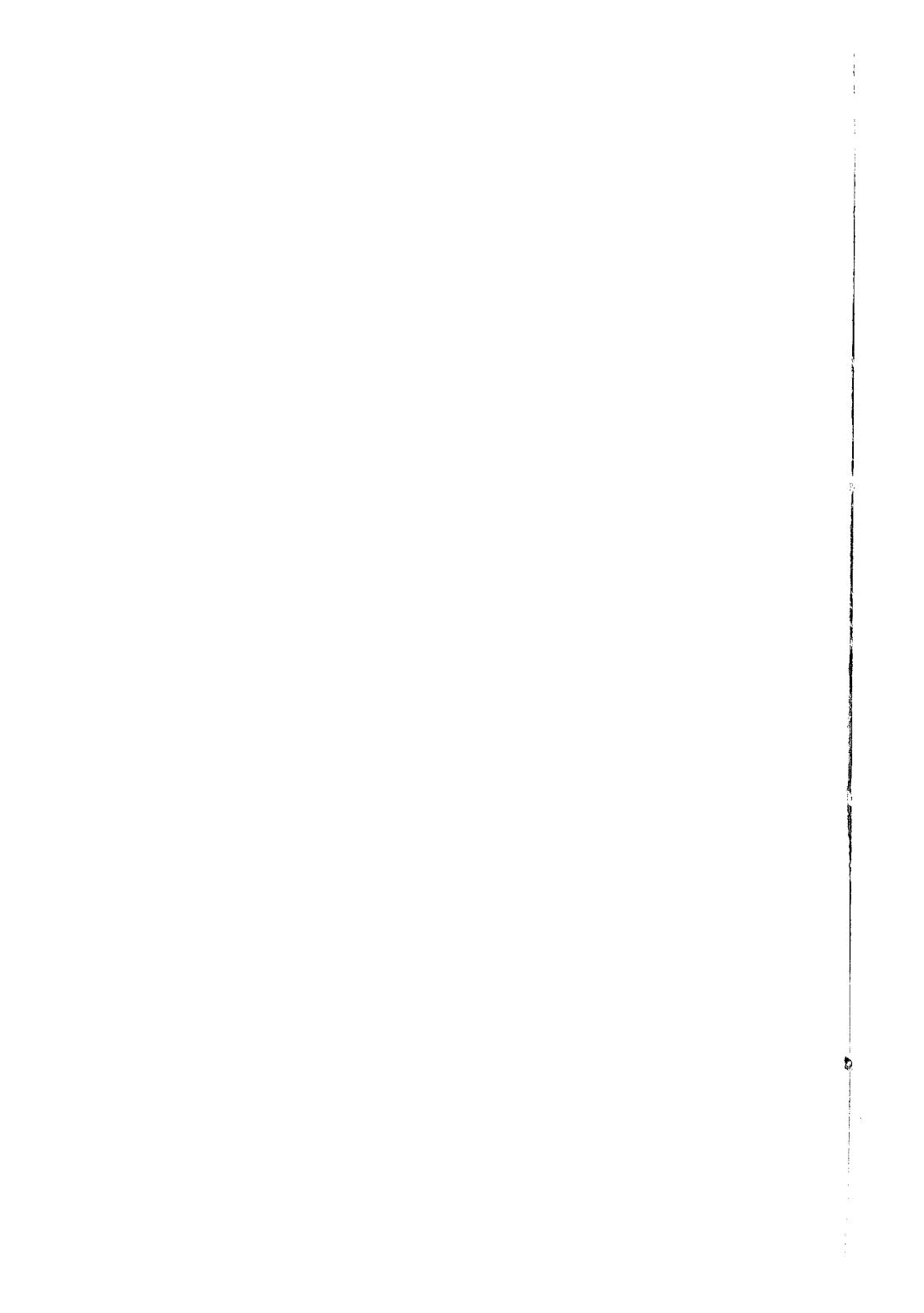


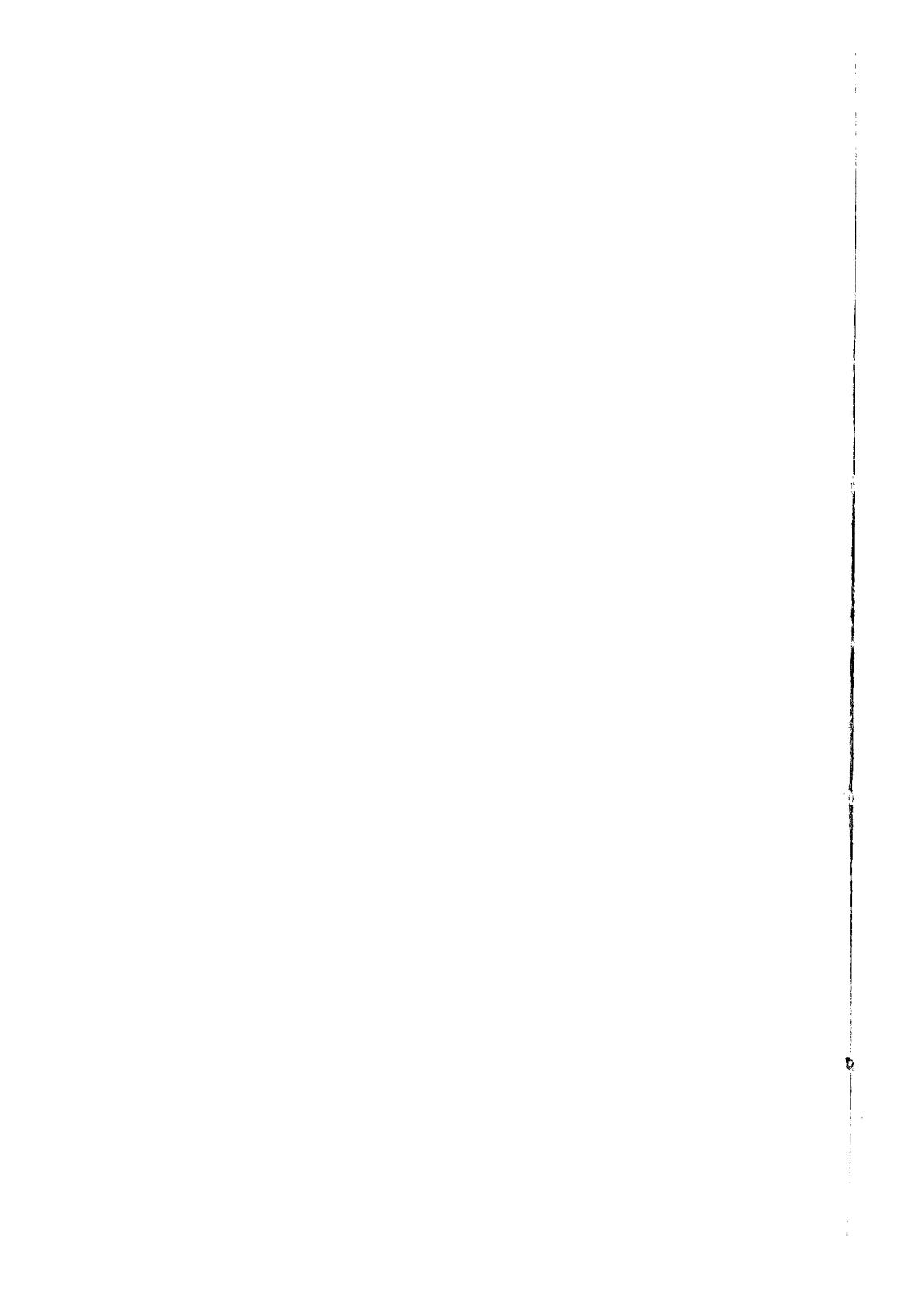
رقم الارشاد / ٩٣٦٨

I.S.B.N. 977 - 208 - 116 - 4









## شخصية مصر

كان الدكتور جمال حمدان مثلاً للعالم الأديب المؤرخ المدقق الذي كرس حياته لكتابه أروع الكتب التي تمجد مصر خاصة مؤلفه الفريد «شخصية مصر» الذي أرسى فيه شخصية مصر وعصرية مكانتها ، فهو ليس مجرد عالماً الجغرافيا فحسب



وإنما هو مفكر فذاً في تاريخ مصر الحديث .

يعتبر جمال حمدان نموذجاً للأكاديمي الجاد بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . فقد أثبت أن الأبعاد عن المشاكل ليس هروبياً بقدر ما هو سمو وأن عزلة المجتمع قد تكون أحياناً أقوى من الاندماج فيه .

كان جمال حمدان ككل العلماء الجديرين بهذا اللقب - يتفوق على تخصصه بل يتخطاه لكي يضع معارفه العلمية والمتخصصة في السياق الشامل والطبيعي للتاريخ الكلى الذى يجمع بين الحضارة والمعرفة والثقافة والسياسية والجغرافيا وغيرها من العلوم الأخرى .

وداعاً جمال حمدان : عبقرية العشق وطقوس العشاق .

الناشر  
مكتبة مدبولى

